عبد الحكيم بلبع

دار العلوم — جامعة القاهرة

النثر الفني

وأثر الجاحظ فيه

ملتزم الطبع والنشر
مكتبة الأنجلو المصرية
١٦٥ شارع محمد بك فريد (عماد الدين سابقاً)

تصـــدير

بقلم الأستاذ عمر الدسوقي

هذا بحث جديد عن الجاحظ ، يضاف إلى تلك الأبحاث العديدة التي ظهرت من قبل عن تلك الشخصية الفذة في عالم الأدب والثقافة لدى العرب والمسلمين . ولا أعتقد أن هذا آخر بحث سيكتب عن الجاحظ ، فلا تزال ثمة جوانب من شخصيته في حاجة إلى من يجليها ، ويعرضها عرضاً حديثاً شائقاً

بيد أن ميزة البحث الذي أقدمه إلى قراء العربية اليوم ، تتمثل في الطريقة التي سلكها ، وفي الغاية التي يهدف إليها .

أما الطريقة فذات طابع علمي سليم ، تنهج الاستقراء والتقصي ، والموازنة والنقد ، والوقوف على المراجع والمصادر ، وحسن الاستنباط في حيدة تامة بعيدة عن الهوى والغرض ، مع عناية بالعبارة والعرض .

وأما الغاية فهي الوصول إلى الحقيقة أيًّا كانت تلك الحقيقة ، من غير أن نجعل من صاحب الشخصية التي تدرسها بطلاً نضفي عليه باستحقاق ومن غير استحقاق محاسن ومزايا تطمس معالم الحقيقة العلمية .

ولا ريب أن الأدب العربي لا يزال في حاجة إلى أن نتناوله بتلك الروح العلمية ونعرضه عرضاً جديداً ، وقد ظهرت حتى اليوم أبحاث السمت بهذه السمة ونجحت نجاحاً قوياً فيما استهدفته ، ووصلت بنا إلى حقائق علمية وأدبية كشفت عن كثير من أسرار الماضي ، وساعدتنا على فهم بعض النصوص الأدبية . وإننا لفي حاجة إلى المزيد من تلك الأبحاث ذات الطابع العلمي السليم .

وقد كان لطلبة الدراسات العليا بالجامعة يد لا تنكر في تنمية هذه الأبحاث ووفق كثير منهم في إخراج أبحاث قيمة أضافت جديداً إلى تراثنا العلمي والأدبي .

ومنذ أن ضمت دار العلوم إلى الجامعة، وطلبتها يبرزون في ذلك الميدان، لما امتازوا به من ثقافة عربية أصيلة تعينهم على حسن فهم ما يعرض لهم من نصوص في الكتب القديمة، وعلى تذوق الخصائص الفنية الأدبية، وإدراك ما بها من جمال أو قبح مع أخذهم بأحدث أساليب البحث العلمي الجامعي. وإني أستطيع أن أقول في غير تحرج إن ما يقدمونه اليوم من أبحاث أدبية لينالوا به الدرجات الجامعية العليا يقف في القمة، ويدل على غزارة مادة، وطلاوة عبارة، وحسن تنسيق، من غير أن يقصر في أي شرط من الشروط التي يجب أن تتوافر في البحث العلمي الجامعي.

لهذا كله أقدم إلى القارئ العربي الكريم هذا البحث الطريف عن الجاحظ ومكانته في تاريخ النثر الفني، وأثره المباشر وغير المباشر في تطور هذا النثر الفني لدى العرب، وأنا واثق أنه سيجد من محبي الأدب والأبحاث المرتكزة على الحقائق، قبولاً ورضى. ولا يسعني إلا أن أهنئ صاحبه السيد (عبد الحكيم بلبع) بالجهود التي بذلها في إخراج هذا البحث، وإني لأعده خطوة أولى في طريق علمي طويل، حافل بالمشقات والاجتهاد والثمرات الطيبة، وفقه الله لخدمة اللغة العربية وآدابها.

عمر الدسوقي

المقدّمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على رسوله الأمين ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد :

فهذه دراسة لحياة النثر الفني منذ نشأته في اللغة العربية إلى نهاية القرن الرابع الهجري ، أي إلى ما بعد الجاحظ بقرن ونصف قرن تقريبا ، وهي دراسة تقوم في أساسها على الوصف والتحليل ، والمقارنة والاستنتاج ، أو بعبارة أخرى تقوم على تتبع الخصائص الفنية للنثر العربي خلال العصور التي مر بها في هذه الفترة ، ثم التعليل لها والحكم عليها .

ولكن ليس الغرض من هذه الدراسة هو مجرد تتبع هذه الخصائص ووصفها وتعليلها ، وإنما الغرض الأساسي منها هو إبراز مكانة الجاحظ في تاريخ النثر الفني وتحديد الدور الذي لعبه في تطوره ، وتعيين الآثار المباشرة وغير المباشرة التي ترتبت على ظهوره كشخصية أدبية كبيرة لها مكانتها الواضحة في تاريخ الأدب العربي .

وإذا كانت حركات الانتقال ، وعمليات التطور الأدبي ، تقترن دائما بوجود أفراد يعبرون عنها ، ويبرزون نتائجها ، ويمثلون طابعها العام بحيث لا يمكننا أن نتبين مداها ، أو أن نحدد اتجاهاتها إلا بالرجوع إلى هؤلاء الأفراد ، فإن أدب الجاحظ يعتبر أكبر شخصية أدبية تركزت فيها أكبر حركة تطورية عرفها النثر الفني في تاريخه الطويل ، وإن هذه الحقيقة وحدها هي التي دفعتنا دفعا إلى دراسة هذا الموضوع ، فكان ذلك البحث الذي نقدمه للأزهر «النثر الفني وأثر الجاحظ فيه» .

ولست أزعم أن هذه هي المحاولة الأولى لدراسة النثر الفني قبل الجاحظ أو لدراسة النثر الفني عند الجاحظ ، وإنما الذي أزعمه أنها أول محاولة لتحديد آثار الجاحظ في النثر الفني ، وإبراز شخصيته كنقطة تحول مباشرة في تطوره . ومن ثم فإن دراستنا لهذا الموضوع على هذا النحو ، لم تكن تكريراً لتلك الدراسات التي تهدف فقط إلى مجرد دراسة الخصائص العامة للنثر في كل مرحلة من مراحله أو في أية مرحلة منها ، أو إلى مجرد دراسة النثر الفني عند الجاحظ دون قصد مباشر أو غير مباشر إلى بيان آثاره ، وإبراز مكانته في تطور النثر الفني .

وقد اعتمدنا في دراسة هذا الموضوع على طائفة غير قليلة من المصادر والمراجع القديمة والحديثة ، العربية والأجنبية ، المخطوطة والمطبوعة ، وقد سردنا في ذيل هذا البحث تلك المصادر وهذه المراجع مرتبة على حسب الحروف الأبجدية .

ولما كان هدفنا الأساسي من هذه الدراسة — كما قلنا — هو تحديد آثار الجاحظ في النثر ، كان لابد لنا من معرفة أحوال النثر قبل الجاحظ ، وتعيين خصائصه وصوره ومناهجه العامة ، حتى نستطيع بالنتائج التي ننتهي إليها أن نحدد في طمأنينة علمية آثار الجاحظ في النثر ، والدور الذي لعبه في تطوره ، ومن ثم كان النهج الطبيعي لدراسة هذا الموضوع أن جعلناه في بابين رئيسين :

أما الباب الأول :

فقد خصصناه لدراسة النثر الفني منذ نشأته في اللغة العربية حتى ظهور الجاحظ وقد مهدنا له بدراسة موجزة لتحديد نشأة النثر الفني في اللغة العربية ، ومناقشة الآراء المختلفة في ذلك . وقد قسمنا هذا الباب إلى أربعة فصول ، تناولنا في الفصل الأول منها دراسة النثر في العصر الجاهلي ، وفي الفصل الثاني دراسة النثر في عصر النبوة والخلفاء الراشدين ، وفي الفصل الثالث دراسة النثر في العصر الأموي — وفي الفصل الرابع دراسة النثر منذ قيام الدولة العباسية إلى بزوغ نجم الجاحظ وهي الفترة المعروفة في التاريخ العام باسم العصر العباسي الأول .

وقد درج بعض النقاد والباحثين على إدماج عصر النبوة والعصر الأموي في فترة

تمهيـــــد

تعريف موجز بالنثر الفني

النثر بمعناه العام هو الكلام [illegible] واقعية وهو

أنواع ثلاثة:

١ — نثر عادي

وهو الذي يستخدمه [illegible]

[illegible] أو الزخرف [illegible]

[illegible] هذا النوع من النثر لا [illegible]

في [illegible]

٢ — نثر علمي:

وهو الذي [illegible] الحقائق العلمية [illegible] إبرازها والتعبير عنها دون عناية

[illegible] وهذا النوع هو الآخر لا يدخل في [illegible]

٣ — نثر فني:

وهو الذي [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

(١) [illegible]

[illegible] ص ٨٦

النثر [illegible] الكتابة الراقية «Higher Writing» [illegible] الأدب في كل زمان ومكان.

[illegible] تصدر عنها ، ولذلك [illegible] ، ومن ثم فإننا [illegible]

نشأة النثر الفني :

[illegible] (٢) [illegible] يظهر عند الأمم القديمة [illegible] النثر يحتاج إلى وجود [illegible] الشعر [illegible] الأمة [illegible] الإغريق القديمة هي لغة الشعر [illegible] Pousanias سنة ٩٤٠ ق . م [illegible]

---

(1) Encyclopedia Britanica vol 18 p. 593.

(٢) أنظر [illegible] الأدب العربي وتاريخه في العصر الجاهلي هاشم عطية ص ٥٨ ، من حديث الشعر و [illegible] حسين ص ٢٢ ، في الأدب الجاهلي : الدكتور طه حسين ص ٣٦٥ ،
L'art de L'prose Lanson p. 10

[illegible] Pherecyde de Syoros [illegible] سروس [illegible]

سنة ٥٤٠ [illegible] (١) [illegible]

الآن [illegible] وهل هو عصر

الجاهلية أو العصور الإسلامية ؟ .

نشأة النثر الفني في اللغة العربية :

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] على الرغم من جهودهم ودراساتهم أن

[illegible] موحد يمكن الاطمئنان إليه ،

[illegible]

[illegible] الأصمعي ،

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

(1) Encyclopédie ou Dictionnaire raisonné des Sciences, des Arts et des Métiers. (vol. XIII, p. 399).

[illegible] مؤرخو الأدب [illegible] أو مرجحة [illegible]

[illegible]

[illegible] دون الكتابة. وهم على فرض معرفتهم لها لم يستخدموها [illegible]

[illegible]

[illegible] يمكننا أن نتخذها أساساً لبحث علمي، أو [illegible]

[illegible] طائفة من المؤرخين [illegible]

رأي الدكتور زكي مبارك [1]

[illegible] — [illegible] يؤكد أنه قد كان للعرب

في الجاهلية [illegible]

[illegible]

[illegible]

أخرى مجاورة أو غير مجاورة ، وإنما كانت لهم في [illegible] من الأحساب [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

أن نلتمسه في مصادر أخرى . [illegible]

[illegible]

[illegible] القرآن قد نزل لهداية هؤلاء الجاهليين [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

ولا يسوغ في العقل أن يكون هذا التحدي إلا لقوم قد [illegible]

[illegible] تجعلهم أهلا لهذا التحدي حتى يصدق معناه — إذا كان

[illegible] وما

[illegible]

[illegible]

[illegible]

---

(1) [illegible]

رأى الدكتور طه حسين (١)

ويرى فريقا آخر — ويمثله الدكتور طه حسين — يؤكد أن النثر الفنى [illegible] لا نتصور أن يكون [illegible] [illegible] الجاهلية [illegible] [illegible] الإسلام [illegible] التى تستدعى [illegible] والتفكير ووجود جماعة [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

رأيه فى الخطابة (٢)

والخطابة كما [illegible] أمة [illegible] [illegible] [illegible] الإسلام لم تكن تدعو لقيام خطابة [illegible] [illegible] [illegible] كانت تشيع فيها الحروب والخصومات إنما كانت تشيع فيها المحاورات التى تلائم هذا النوع من الحياة .

(١) [illegible]

(٢) [illegible] للدكتور طه حسين ص ٢٧٣

ويستمر الدكتور طه حسين ليؤكد [illegible] الأمة [illegible] [illegible] ولا [illegible] ولا [illegible] [illegible] كانت أو أوربية [illegible] ولا [illegible] ولا [illegible] [illegible] ولم تظهر الخطابة في أوربا [illegible] [illegible] إلا في [illegible] كانت [illegible] [illegible][1] »

رأيه في الأمثال[2]

أما الأمثال فإن الدكتور طه حسين [illegible] بلا شك ، ولكنه يعود فيرى أنه [illegible] [illegible] الذى لا يصلح أن يكون أساساً لدراسة [illegible] ثم إنه إذا كانت حياة الناس [illegible] [illegible]

رأيه في القرآن[3] :

[illegible] الدكتور طه حسين [illegible] ولا

(١) الأدب الجاهلي للدكتور طه حسين ص ٣٢٠
(٢) الأدب الجاهلي للدكتور طه حسين ص ٣٦٣
(٣) [illegible] ص ٢٥ .

هو بالشعر ولا هو بالنثر [illegible] على حد [illegible] فلا يصح [illegible] على نحو ما [illegible] في العصر الجاهلي.

مناقشة هذه الآراء

[illegible] متعارضين في تقدير الوجود الأدبي للعرب الجاهليين [illegible]

[illegible] وجود النثر الفني في العصر الجاهلي، [illegible] على هذا [illegible] سوى [illegible] القرآن الكريم كدليل قاطع على وجود النثر الجاهلي، وعدم [illegible]

[illegible] وجود النثر الفني في العصر الجاهلي، [illegible] الدكتور طه حسين، [illegible]

[illegible] كلها في هذا الموضوع، هي أن الاستنتاج العقلي، [illegible] الأدب الجاهلي، [illegible] والجودة، وأن هذا النثر قد عالج كثيرا من مظاهر حياتهم التي كانوا يحيونها.

فأما أن حياة الناثرين الجاهليين مضطربة وغامضة فيكفي للرد على هذا أن النبي صلى الله عليه وسلم [illegible] قال الجاحظ في هذا:

«ولإياد وتميم في الخطب خصلة ليست لأحد من [illegible]؛ لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو [illegible] كلام قس [illegible] وموعظته على جمله بعكاظ، [illegible] يعجز عنه الأماني وتنقطع دونه الآمال»

وأما أن القرآن لا يصح أن يتخذ أساسا لدراسة النثر الجاهلي بحجة أنه ليس

(١) [illegible]

[illegible] شعر [illegible] لا [illegible] [illegible]

[illegible] الكلام [illegible] ونثر [illegible] الشعر هو الكلام [illegible] [illegible]

الوزن والقافية ، والنثر هو الكلام المرسل الذى خلا من [illegible] الروابط ، وأن النثر

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] جديداً من [illegible] [illegible] هو

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] والاقتصادى

[illegible]

[illegible]

ولعل مما يدل على هذا التقدم دلالة واضحة ، تلك [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] اختلاف أغراض اجتماعهم ، كالشعب والجماعة [illegible]

[illegible] والعصابة ، ومثلها

[illegible] ... كالجريمة ، والسرية ، والكتيبة ،

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] وما شاكلها ، وفي اللغة مئات الألفاظ الدالة على

[illegible]

[illegible] والاقتصاد باع واسع ، لذلك

[illegible]

[illegible]

تصلوا بالمدينة ويعرفوا شيئاً عنها[1]؟ »

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

الجاهليين ما ليس لهم [illegible]

[illegible]

الحد فنجعلها وحدها أساساً لدراسة الأدب الجاهلي [illegible] هؤلاء [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] والعصبية ، والتكثر في الرواية وما إليها ، ونحن على

[illegible]

(١) النابغة الذبياني ص ٢٣

[illegible] والتاريخ والأدب ، والتي [illegible] استحدثت كلها في الإسلام ، وأن [illegible] [illegible] الأخرى ، وسوف يتضح لنا عندما [illegible] الحياة الجاهلية وصورة منها

التدوين والكتابة في العصر الجاهلي

[illegible] لا يمكن حصرها على هذا النحو [illegible] لتعيين الخصائص والأسس النثرية في العصر الجاهلي . [illegible] الكتابة [illegible] كتبتم على سفر ولم تجدوا [illegible]

(١) [illegible] ٣١١

و [illegible] من [illegible] كتب الله [illegible] في [illegible] كانت الكتابة [illegible] والكتب وما في ذلك [illegible] دلالة صريحة على [illegible] قد عرفوا هذه الأدوات [illegible] وقد [illegible] من شعر الجاهلي [illegible] في وضوح [illegible] من [illegible] المعروفة في [illegible] ومن هذه [illegible] في مقدمة معلقته

عفت الديار محلها فمقامها ... بمنى تأبد غولها فرجامها

فمدافع الريان عري رسمها ... خلقا كما ضمن الوحي سلامها

فالوحي : هي الكتابة — و [illegible] ما كانوا يكتبون عليه من عظم او حجارة . ومنها ما قاله المرقش [illegible]

الدار قفر والرسوم كما ... رقش في ظهر الأديم قلم (١)

وما قاله سلامة بن جندل

لمن طلل مثل الكتاب المنمق ... خلا عهده بين الصليب فمطرق (٢)

[illegible] على شيوع الكتابة وانتشارها في الأوساط [illegible] . ويذكر لنا الجاحظ في كتاب الحيوان [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

واذكروا حلف ذي المجاز وما ... قدم فيه العهود والكفلاء

حذر الجور والتعدي وهل ... ينقض ما في المهارق الأهواء

(١) المفضليات [illegible] ج ٢ ص ١٨ .

(٢) المفضليات [illegible]

والمهارق ليس يراد بها الصحف والكتب ، ولا تعني كلمة مهارق حتى تكون كتب دين أو كتب عهود وميثاق وأمان (1) .

وجاء في كتاب آداب [illegible] أن أهل الحيرة الحيريين كانوا يكتبون ، وخطهم يسمى المسند وكان ذا حروف منفصلة ، وكانوا يكتبون الكلمة من الكلمة ، ومن خطهم استنبط عرب [illegible] خط [illegible] ذا نقط واتصال بدون نقط ولا إعجام [illegible] فأخذه عنهم أهل العراق ومن هؤلاء [illegible] عرب قريش وفي الأغاني [illegible] [illegible] عن محمد بن [illegible] [illegible] من كتب [illegible] هذا وهو [illegible] [illegible] عمرو [illegible] الأنبار فتعلمه بشر بن عبد الملك أخو أكيدر بن عبد الملك صاحب دومة الجندل ، وخرج إلى مكة فتزوج الصهباء بنت حرب بن أمية أخت أبي سفيان فعلّم جماعة من أهل مكة فلذلك كثر من يكتب بمكة من قريش ، فقال رجل من أهل دومة الجندل من كندة يمن على قريش بذلك

لا تجحدوا نعماء بشر عليكم ... فقد كان ميمون النقيبة أزهرا

أتاكم بخط الجزم حتى حفظتم ... من المال ما قد كان شتى مبعثرا

فأتقنتم ما كان بالمال مهملا ... وطامنتم ما ذلل منه فأنفرا

فأجريتم الأقلام عودا وبدأة ... وضاهيتم كتاب كسرى وقيصرا

وأغنيتم عن مسند الحي حمير ... وما زبرت في الصحف أقيال حميرا (2) ،

على أن هذا [illegible] [illegible] [illegible] على أن العرب [illegible] [illegible] [illegible] جعفر النحاس في شرحه [illegible] للمعلقات [illegible] [illegible] قال [illegible] ما هذه [illegible] في [illegible] وابن رشيق في كتاب العمدة (1) يؤكد هذه الرواية .

---

(1) [illegible]

(2) [illegible]
ص ٦١)

(3) [illegible] ص ٦

[illegible] اسم الملك صاحب هذه المقالة . ولكننا نرجح أنه [illegible] إلى ما يقوله ابن سلام [1] : من أن النعمان بن المنذر كان [illegible] ما مدح به هو وأهل بيته ، فصار ذلك إلى بنى مروان [illegible] [2] [illegible] بنسخ الأشعار فى [illegible] وأخرجها .
[illegible]
السكتابة

[illegible]
[illegible] من أغراضهم السياسية والتجارية .
[illegible]
[illegible] الإسلامية [illegible]
[illegible]

[illegible]
[illegible]
أدبى إنما كان شعرا لا كتابة ، فقد يقال هذا [illegible]
يمر عصر من عصور الأدب [illegible]
[illegible]
فى هذا العصر .

[illegible] كثير من [illegible] والمؤرخين فى القديم والحديث توحى بل تؤكد أن [illegible] الأدبية للعصر [illegible] من شعر [illegible] قد حفظت صحيحة [illegible] شىء من عبث رواة [illegible] واحد [illegible] ومن

(١) [illegible] ١٧
(٢) [illegible] ٣٩٣
(٣) [illegible]

هذه الأقوال [illegible] عن [illegible] من حدث [illegible] عن [illegible] [illegible]
[illegible] وهو [illegible] [illegible]
[illegible] العرب من جيد [illegible] فتكلمت به من [illegible] [illegible]
[illegible] [1] [illegible]
[illegible] الشعر [illegible]
[illegible]
[illegible] ما كان للجاهليين من جيد المنثور — وقال الدكتور زكي [illegible]
حديثه عن النثر الجاهلي في كتابه النثر الفني : « وقد وقع للأستاذ [illegible]
[illegible] محمد [illegible] سنة ١٩٢٨ [illegible]
[illegible] من الجاهليين لم تكن [illegible]
[illegible]
وهذا خطأ من الأستاذ [illegible] التي ظهر أثرها في خطباء العرب
في عهد النبوة كانت تشهد بوجود مجموعات كثيرة جيدة من [illegible]
[illegible] [2]

[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] طبقة بعد طبقة ما قد
[illegible] في بطون الكتب
[illegible] أحمد الذي [illegible]
[illegible] من الرواة [illegible] [3]

---

(١) [illegible] ص ٢٨ .
(٢) [illegible] ص ٣٣
(٣) [illegible] ص ٦٨

غير موجود، وحقيقة أن القرآن الكريم بكل ما فيه من قوة وعظمة وإعجاز، قد وجه [illegible] الأدبية وجهة جديدة، [illegible] العسكرية و[illegible] و[illegible]، وكل هذا [illegible] من غير شك [illegible] على [illegible] جديدة [illegible] على ظهور الإسلام [illegible] في أغراضه وموضوعاته [illegible] القرآن الكريم [illegible] جديدة قد [illegible] بلا شك [illegible] ولكن [illegible] أصاب النثر الفني بعد أن اتسعت الفتوحات [illegible] حركة [illegible] وغيرهم، كان أشد أثراً وأكبر [illegible] هذا من يلاحظ حياة النثر الفني ما بين القرن الأول الهجري [illegible] القرن الرابع [illegible]

على أن [illegible] نستطيع أن [illegible] مؤرخي الأدب [illegible] من العصر الجاهلي من [illegible]، ولكننا حينئذ نستطيع [illegible] بلا شك [illegible] في شتى مظاهرها، فيلاحظون [illegible] وعلى [illegible] من [illegible] على [illegible] الأمر بعضه

السجع في الجاهلية:

ومن [illegible] في هذا [illegible] خصائص أسلوب [illegible] في [illegible] ولا [illegible] من [illegible] القرآن الكريم [illegible] في كثير

من آياته . ومن ذلك أن عرف عند قوم من قريش أن النبي صلى الله عليه وسلم بأنه شاعر ، وبأنه ساحر ، وبأنه كاهن ، فكان لا بد أن يدفع القرآن عن النبي ما رمي به ، فجاءت هذه الآيات : « فذكر فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون . أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون » .

« وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون . ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون » إلى آخر هذه الآيات .

ولعل [illegible] من المتكلمين ، هو ما وجدوه من شبه في الأسلوب بين ما سمعوه من أقوال كهانهم ، وبين بعض سور القرآن التي سمعوها من محمد ، مع ما بين الأسلوبين من فرق كبير .

فما جاء على ألسنة الكهان في [illegible] حديث [illegible] [illegible] عند [illegible] من [illegible] [illegible] أولا ، [illegible] عن أمانة ، قبل أعصار الظلماء ، بالمؤيد الشماء ، [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الوادي [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] لا [illegible] عنه معدلا » .

فهذا الحديث [illegible] يشبه[2] في ظاهره ، وسجعه ، وأسلوبه القسمي ما جاء في سورة الشمس من قوله تعالى : « والشمس وضحاها ، والقمر إذا تلاها ، والنهار إذا جلاها ، والليل إذا يغشاها ، والسماء وما بناها ، والأرض وما طحاها ، ونفس وما سواها ، فألهمها فجورها وتقواها ، قد أفلح من زكاها ، وقد خاب من دساها » . ومثل هذا أيضا ما نقل من حديث سعدى بنت كريز خالة عثمان بن عفان – وكانت قد تكهنت – روى[3] أن الناس قد طعنوا فيها في محمد عند

---

(١) [illegible] ص ١٢٠
(٢) [illegible] ص ٢ و ٣
(٣) [illegible] ج ٣ ص ١٣١

على المنثور ، وتلزم تفسك القوافي وإقامة الوزن ! [illegible] كلامى [illegible] لمن خلاق [illegible] [illegible]

[illegible] سجع [illegible]

[illegible] في كلامه [illegible] عند الصمد : وجدنا الشعر من [illegible] رسول الله صلى الله عليه واستحسنه ، وأمر به شعر [illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال [illegible] [illegible] تكن القوافي مطلوبة محتمة أو مختصة [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] كثير من [illegible]

[illegible] أحاديثهم وأخبارهم ؟ كل هذا يدل على [illegible] كثيرا من هذه الأحاديث الكهانية صحيح لا [illegible] السجع الذى كانت [illegible] هذه الأحاديث مما يسهل حفظه [illegible] فهو كالشعر من حيث اعتماد كليهما على [illegible] عند العصر [illegible] في هذا العصر وعلى هذا فإننا نستطيع أن [illegible] أحاديث [illegible]

في هذا العصر.

[illegible] المتأخرة اعتمادا كبيرا على هذا [illegible] في ضبط أساليب [illegible] الإسلامى [illegible]

القرآن الكريم دليل على وجود نثر فنى جاهلى

[illegible] الكريم وحده يغني عن كل هذه المحاولات ؟ [illegible]

الحجة [illegible] ، والبرهان الذي لا يحتمل الريب ، على أنه قد كان للعرب في الجاهلية [illegible] في مصر ، ولا في المنطق ، أن مثل اللغة العربية [illegible] وبلاغة التي [illegible] لابد أن يكون دون ذلك نشاط أدبي واسع [illegible] تاجا لنهضة أدبية ضخمة ، ولا يستساغ في العقل [illegible] ولا [illegible] من بلاغة [illegible] من المعقول [illegible] من بلاغة القرآن حتى يكون لهذا التحدي معنى .

[illegible] في مصر [illegible] من [illegible] من الأمر [illegible]

البَابُ الأوّل

الفصل الأول

النثر الفنى فى العصر الجاهلى

أنواع هذا النثر

[illegible] تنسب إلى العصر الجاهلى [illegible] أن يسمى بالنثر الفنى عند الجاهليين.

[illegible]

الخطابة الجاهلية

[illegible]

[illegible]

[illegible] جمع عشيرة [illegible] بين عشيرة [illegible] (١)

ما هي الخطابة ؟

[illegible]

[illegible] يتهيأون لمواقفهم في الخطابة ، فيجودون ، وينمقون ، ويتوخون [illegible] البيان وروعة البلاغة ولهم في أمثال تلك المواقف خصائص [illegible] :
كاعتجار العمامة ، والوقوف على مكان مرتفع ، والاعتماد على شيء من [illegible]

[illegible]

[illegible] طائفة من أشهر الخطباء الجاهليين وهم (٢)

(١) قس بن ساعدة الإيادي . (٢) دويد بن زيد الحميري .
(٣) [illegible] (٤) [illegible]
(٥) [illegible] بن كعب [illegible] (٦) [illegible]
(٧) الربيع بن ضبع الفزاري . (٨) أبو الطمحان القيني .
(٩) ذو الأصبع [illegible] (١٠) الأوس بن حارثة .
(١١) [illegible] (١٢) [illegible]
(١٣) [illegible] (١٤) [illegible]
(١٥) [illegible] (١٦) [illegible]

[illegible]

(١) [illegible]
(٢) [illegible]

بعض نماذج للخطابة الجاهلية :

١ — خطبة قس بن ساعدة ، وهو الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم [illegible] بسوق عكاظ على جمل أحمر وهو يقول[1] [illegible] اسمعوا وعوا ، من عاش مات ، ومن مات فات ، وكل ما هو آت آت ، وهو القائل : في هذه آيات محكمات ، مطروحات ، وآباء وأمهات ، وذاهب وآت ، ونجوم تمور [illegible] [illegible] أين الآباء والأجداد ؟ أين [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

٢ — [illegible][2] [illegible] وأصغوا إلى قلوبكم بالغ الوعظ منكم حيث أراد [illegible] بالأهواء [illegible] على قلوب [illegible] موضوعة [illegible] مرفوعة ، وشمس [illegible] ونجوم [illegible]

---

(١) [illegible]

(٢) [illegible] ٢٧٣

[illegible] أسلوب [illegible] من [illegible] ، و [illegible] من [illegible] ، [illegible] من [illegible]

الخصائص الأدبية لأسلوب الخطابة :

[illegible] من [illegible] من ملاحظتهم في [illegible] كانت [illegible] في [illegible] دون [illegible] والاستكراه [illegible] وذلك بيان الخصائص العامة :

الألفاظ :

ألفاظ الخطبة الجاهلية دالة محكمة لمعانيها ، [illegible] فكل لفظة منها [illegible] منها قول الجاحظ في [illegible] (1) : « ومتى شاكل — أبقاك الله — ذلك اللفظ معناه ، وأعرب [illegible] ، وكان لتلك الحال وفقا ، ولذلك القدر [illegible] ، [illegible] الاستكراه ، وسلم من فساد التكلف ، كان قمينا [illegible] ، وأجدر أن يمنع جانبه من تناول الطاعنين ، [illegible] ، ولا تزال القلوب به معمورة ، والصدور [illegible] ما اتصل بالأذهان ، والتحم [illegible] ، وارتاحت له القلوب ، وخف على ألسن الرواة ، [illegible] »

(1) [illegible]

[illegible] هذه الأوصاف لوجدنا أنها [illegible] غالبا . وهكذا كان خطباء العرب فى الجاهلية ، [illegible]

[illegible] كما يقول الجاحظ[1] : [illegible] فى خطب البلديين المتكلمين ، ومن [illegible] على جهة الارتجال والاقتضاب ، [illegible] »

الصدق

[illegible] أن يلهم جنانه ، ويستثير [illegible] والسمر الجميل و [illegible] القمر تحت [illegible] إن هذا كله هو البيئة التى عاش فيها البدوى فى [illegible] لا غموض [illegible] الصافية الواضحة [illegible] لا تعقيد فيها ولا التواء [illegible] لا [illegible] فيه ولا [illegible]

(١) [illegible] ٢ — ٧

[illegible] أنهم رأوها تصوراً لمظاهر هذه القوى [illegible]

[illegible]

من احبه والتي يقول فيها : [illegible] فأمس عظة وشاهد عدل ، خلفك نفسه ، وأبقى لك وعليك حكمه ، واليوم [illegible] إن وجدته [illegible] في الرائعة — وإن كانت سهلة الأخذ قريبة الفهم — إلا أن [illegible]

العواطف

[illegible]

(١) [illegible] أثر الصحراء في الفكر العربي ص [illegible]

[illegible] ، لأن [illegible] هى [illegible] [illegible] الأدب ، [illegible] [illegible] من [illegible] [illegible] الأدب كله من [illegible] [illegible] [illegible] الأدبية ، فتندفع إلى مباشرة عمله الأدبى بخير ما فيه من قوى أدبية وفنية .

و[illegible] [illegible] التى تكمن وراء هذه الخطب التى أوردناها [illegible] من كل اصطناع وريب ، ولا يباس هذه [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ، تعبير قوى عن عاطفة دينية صحيحة صادقة لا [illegible] [illegible] [illegible] أ كثر من [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] عاطفة صادقة ليس لها من هم إلا [illegible] [illegible] صبغة الحياة وسننها ، ولو أنه قال فى [illegible] إن الفقيد هو أكرم مَنْ خلق الله ، وستبكيه [illegible] وعيون الأرض ، ومياه البحار لكانت هذه هى العاطفة [illegible] والأدب [illegible]

الأغراض [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] من [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الإسلام [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] عن أغراض [illegible] كثيرة [illegible]

واحدة تقصر عن ظاهرة حقيقية كما في قصة [illegible]

ومهما يكن [illegible] في محمد [illegible] وهل [illegible] شيء سوى [illegible]

[illegible] !

الأسلوب عامة :

وأسلوب الخطبة الجاهلية في عمومه قوي [illegible] بالإحكام [illegible]

[illegible]

[illegible] كما في خطبة [illegible]

[illegible]

[illegible] أو [illegible] على [illegible] الدينية ، فالأداء بها يكون [illegible]

وهذا هو ما شاهده في [illegible] خاصة القديمة منها ! [illegible] الأسجاع تقلب على عامتها ؛ لأنها [illegible] والنص ، [illegible] مخاطبة الوجدانات [illegible] والأسجاع [illegible] موسيقية [illegible] إلى الاستجابة [illegible] أنواع [illegible] السجع ، ويعتمد على الأنغام الكثيرة [illegible] ذلك [illegible] قوى خفية يعتمد عليها ، ويستلهمها الرأى

[illegible]

[illegible]

[illegible] بهذه النصوص الخاطئة. ويكون [illegible]

[illegible]

الأمثال :

وهذا نوع آخر من أنواع [illegible] والمؤرخين منذ القرن الأول للهجرة، حيث [illegible] على روايته، وجمعه، وشرحه [illegible] من علماء اللغة والأدب، [illegible]

---

(١) [illegible]

الخلاصة مجموع الأمثال وشرحها [illegible] [illegible] وتحقيق عادات الأمة وعقليتها . وقد ذكر[1] [illegible] في الفهرست أن عبيد بن شرية من عمال [illegible] كتابًا في الأمثال [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] من ذلك ، [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] العصر الإسلامي بجمع أمثال العرب ، منهم : صحار العبدي ، [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] سنة ١٨٥ هـ ، وأبو عبيدة سنة ٢١١ هـ وثعلب سنة ٢٨١ هـ ، وأبو عبيد القاسم بن سلام سنة ٢٢٣ هـ ، و[illegible] الأصمعي ، وأبو هلال العسكري ، ومحمد بن زياد الأعرابي ، ومحمد بن حبيب البغدادي ، وحمزة الأصفهاني ، وغيرهم ، « وقد [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ، وأضافوا إليها من الأمثال الحادثة في الإسلام ، و[illegible] هذه الكتب الباقية إلى الآن : كتاب [illegible] المستقصى للزمخشري [illegible] سنة ٥٣٨ هـ ، ومجمع الأمثال للميداني سنة ٥١٧ هـ [illegible] مجمع الأمثال [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الأمثال [illegible] [illegible] حروف المعجم [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] المولدين ، وهو [illegible] كتب في الأمثال [illegible] ، وفيه شروح لطيفة ، وقد طبع مرارًا بمصر [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ، وفينا ، والمتحف البريطاني ، وكوبرلي بالآستانة ، و[illegible] [illegible] [illegible] كتب الأمثال الأصلية التي أخذ عنها الميداني والزمخشري ، [illegible] [illegible] [illegible] أهمها : كتاب الأمثال لأبي عبيد القاسم بن سلام طبع في [illegible] سنة ١٨٣٦ م ، وأمثال [illegible] [illegible] ، طبع في [illegible] سنة ١٣٠٠ هـ ، وجمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري ، طبعت في الهند سنة ١٣٠٧ هـ ، و[illegible] [illegible] [illegible] مرارًا في [illegible] ومصر ، ومنه طبعة في باريس سنة ١٨٤٧ م مع ترجمة فرنسوية ، وتجد كثيرًا من أمثال العرب في كتب الأمالي وكتب اللغة ، وكتب الأدب ونحوها[2] .

(١) الفهرست [illegible] [illegible] ص ٩

(٢) [illegible] [illegible] آداب اللغة العربية — جرجي زيدان ج ١ ص ٤٠

[illegible] كل [illegible] الأمثال [illegible] والإسلام [illegible]

[illegible] والجلي من يهتم بجمعها وشرحها

[illegible] اطمئناننا إليها ، سيما وأن بعض رواة

هذه الأمثال [illegible]

[illegible]

[illegible] من هؤلاء [illegible] هذه الأمثال

[illegible] هؤلاء [illegible] هذه الأمثال [illegible]

[illegible]

[illegible] الأستاذ نكلسون — Nicholson — [illegible]

أنه لا ينبغي أن نطلق [illegible] حجة نذكر على الأمثال الجاهلية [illegible]

من [illegible] هؤلاء [illegible] والأستاذ نكلسون [illegible]

بالأمثال وشروحها ، ويرى أن محاولات العلماء تفسيرها ليست إلا ضربا من

التخمين ، يقول في كتابه تاريخ الأدب العربي عند كلامه على الأمثال : « [illegible]

من [illegible] هذه الأمثال [illegible]

فليست إلا عمل العلماء الذين [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] معلومات [illegible]

[illegible] الإسلام » .

(١) وانظر على هذا الرأي الدكتور شوقي ضيف حيث قال في صدد كلامه على الأمثال [illegible]

[illegible]

(٢) Nicholson: Lit. Hist. of the Arabs, P. 31.

[illegible]

[illegible] أن طائفة من هذه الأمثال [illegible] نشأت في طبقات العامة[3] [illegible] على كلامهم ، واتخاذه أساسا للحكم على كلام الخاصة الذين [illegible]

[illegible] من أحوال في قيمة الأمثال [illegible] مثل هذه العناية من [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

ب – فلنتقدم الآن لدراسة الأمثال كنماذج للنثر الجاهلي

١ – ما هو المثل

[illegible]

[illegible]

[illegible] العرب كانت تجري الأمثال [illegible] ولا تجري بها الإعراب[1] ».

لغة هذه الأمثال[2]

[illegible]

[illegible] الفنية ، وهذا ما يمكن [illegible]

[illegible]

نماذج من هذه الأمثال

[illegible] من الأمثال [illegible] من مجمع الأمثال [illegible]

[illegible] إن النساء لحم على وضم[7] [illegible]

(١) [illegible] السيوطي — ١ — ٢٣٥
(٢) عن تطور الأساليب النثرية [illegible] ص ٧١ .
(٣) من مجمع الأمثال : الصفحات الآتية على التوالي : (٤) ٩ .
(٥) ٩ . (٦) ١٣ . (٧) ١٣ .
(٨) ١٥

[illegible] بعد اللتيا والتي (٣) » ، « بعض الشر [illegible]

[illegible] لا تأمن [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

ما يعينا ان نبين خصائصها وعبراتها الأدبية

أسلوب الأمثال :

[illegible]

[illegible] من تشبيهات جميلة ، واستعارات [illegible]

[illegible] . هكذا نجد [illegible]

[illegible]

[illegible] الأمثال من حكم العرب في الجاهلية والإسلام ،

[illegible]

[illegible] كلامهم [illegible] في [illegible]
[illegible] فيجتمع له [illegible] ثلاث [illegible] وحسن
التشبيه وجودة [illegible] [1] [illegible] [2]
ويقول ابن عبد ربه صاحب العقد [illegible]
في الأمثال [illegible]
[illegible]
[illegible] حتى [illegible]
[illegible] الشاعر :

[illegible] [3]

[illegible] وجودة [illegible] [4]

[illegible]
[illegible] أثار ذلك العصر ، ولعل منه خطبة
[illegible] فقد اشتملت هذه الخطبة على فقر قصيرة ،
[illegible] وحدها وقصد لذاتها ، ومن هذه
[illegible]
[illegible]
[illegible] [5] [illegible]
[illegible]

[illegible]

(١) [illegible] ٢٣
(٢) [illegible] ٨٤
(٣) [illegible] ٢٣
(٤) [illegible]
(٥) [illegible] ١٥
[illegible] ٢١

[illegible]

[illegible]

٣ — الوصايا :

وهذا نوع ثالث من أنواع [illegible] الجاهلي ، هو الوصية [illegible] من الخطبة ، والفرق بينهما أن هذه يقصد بها جمع من [illegible] من أمور [illegible] أو الدنيا — أما [illegible]

نماذجها :

[illegible] يكن لك عبدا ، واحفظي له خصالا عشرا يكن لك ذخرا ، أما الأولى والثانية : فالخشوع له بالقناعة ، وحسن السمع له والطاعة ، وأما الثالثة والرابعة فالتعهد [illegible]

(١) [illegible]
(٢) أنظر الأدب العربي وتاريخه — هاشم عطية — ص ٧٨ .
(٣) [illegible]

موضع [illegible]

وأما الخامسة والسادسة : فالتعقد [illegible] وطعامه [illegible]

[illegible] اليوم معصبة ، أما السابعة [illegible] على

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

والـ[illegible] الإنسان في الدنيا [illegible]

[illegible]

أسلوب الوصف

[illegible] عادي الخطب الحافلة ، [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

من الفطرة [illegible] من العام

والألفاظ : [illegible] تلك الألفاظ [illegible]

[illegible]

(١) [illegible]

والمعاني: هي هذه المعاني القريبة السهلة التي لا غرابة فيها ولا إغراب،
والأسلوب في عامته هو الأسلوب الذي عرفت خصائصه في الخطبة، من [illegible] مسجوعة أو مزدوجة، تتآخذ في تتابع وتآلف وانسجام كأنغام الموسيقى

المميزات العامة للنثر الفني في العصر الجاهلي

[illegible] أساسية [illegible] في حكمنا على نص من النصوص الأدبية شعراً كان [illegible] هي هذه الأسس الثلاثة

(١) العاطفة. (٢) الفكرة. (٣) الصورة

أما العاطفة:

فهي [illegible] أو [illegible] الأديب.

والفكرة

هي [illegible]

والصورة

هي [illegible] وهي [illegible] الأسلوب.

[illegible] الأديب [illegible] فيه هذه العناصر الثلاثة، وبقدر ما يكون [illegible] الأدبية لأنه في [illegible] وتحقق [illegible] أو شعر [illegible] من صدق [illegible] من حسن [illegible] الأديب لا يستقيم حكمه على الأعمال الأدبية بهذه المقاييس، إلا إذا لاءم بينها جميعاً وبين بيئة الأديب وثقافته [illegible] عن الأديب [illegible] الخاصة، فلا ينبغي مثلاً أن يعيب النقاد على [illegible]

ورمى [illegible] في مشرق [illegible] وأخو [illegible] الشكويا

[illegible] ما في هذا الشعر ، وكان [illegible]

النقد [illegible] الإنسانية ، ويكفي لو أنهم

ذاقوا ألم الجوى وعذاب الحرمان ، [illegible] ، لعلموا حدة

الراحتين في اليأس ، [illegible] في هذا الشعر .

وكذلك لا ينبغي [illegible] في قصيدته التي مدح

بها المتوكل :

أنت كالكلب في حفاظك للود وكالتيس في قراع الخطوب

أنت كالدلو لا عدمناك دلوا من كبار الدلا كثير الذنوب

لأن بيئة هذا الشاعر الذي يلازم البادية ، ليست إلا كلبه وتيسه ، وهما خير

الأمثلة [illegible] ممدوحه [illegible]

في [illegible] هذا الشعر [illegible]

[illegible]

[illegible]

عيـــون المها بين الرصافة والجسر

جلبن الهوى من حيث أدري ولا أدري (١)

---

(١) [illegible] بن الجهم — وكان [illegible]

[illegible]

[illegible] حتى [illegible]

[illegible] في حكمنا على الأدب الجاهلي ، أي أننا [illegible]

[illegible] عواطفه [illegible]

[illegible]

أما الفطرة

[illegible] ولا فلسفة ولا التواء ، وإنما هي في [illegible]

= عيون المها بين الرصافة والجسر جلبن الهوى من حيث أدري ولا أدري

[illegible] ابن الجهم هذه القصة على أنها من القصص [illegible] وعندي أنه ليس ثمة ما يدعو إلى [illegible] الجاهلية ؟ إذ ليس فيها ما يتصل مع الواقع أو طبائع الأمور . وراجع ديوان علي [illegible]

[illegible] أحد [illegible] [illegible] [illegible] فهي [illegible]

[illegible] [illegible]

لا يحس الإنسان بهذا الفتور الناشئ عن [illegible]

[illegible]

أما الصورة :

[illegible] أسلوب [illegible]

[illegible]

متجانسة مجموعة في الغالب ، ولكنه [illegible]

[illegible]

في [illegible]

[illegible]

[illegible] البيان العربي

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

ذلك أن [illegible]

والبلاغة [illegible] هذه القيم في مجموعها شيء فطري في كل [illegible]

وفي كل [illegible] كما نسمعها في مواويل [illegible]

[illegible] في خاطر [illegible]

في أدنى صورة [illegible] والتشبيه والاستعارة [illegible]

وغيرها من فنون البلاغة ، هي الأمور [illegible] الحقيقة [illegible] فالحاجة إليها

إذن : حاجة طبيعية ؛ لأنها في كثير من الأحيان [illegible] من ضرورات [illegible]

---

(١) أنظر [illegible] الدكتور [illegible] ٤٤

وهي موجودة ما وجدت اللغة وما وجد الإنسان. [illegible] أن يكون الفرس واليونان قد انفردوا بنوع من البلاغة حتى لا يمكن أن نجد أمثال البلاغة [illegible] كثرة وتنوعا تتفاوت [illegible] في [illegible] المشاهد وتكثر المرئيات وتتعقد الحياة، وتتسع الثقافة، وتتشابك جوانب [illegible] على حين [illegible] الإسكاري [illegible] [illegible] إلا أن هذا لا ينفي [illegible] البلاغة في [illegible] الأولى، ولا [illegible] في [illegible] في عصر [illegible] [illegible]، كما تأثرت بطرائق التعبير والأساليب الفارسية، إلا أن هذا لا يعدو ما تسمح به ضرورة الاختلاط بين شعبين مختلفين كل الاختلاف في الثقافة والأخلاق والتاريخ. وإلا فإن [illegible] الذي وصلت بلاغته إلى مرتبة [illegible] الأولى، لا يمكن أن يكون هو الآخر قد تلقى هذه البلاغة من الفرس أو اليونان. وهذا هو الجاحظ الذي عاش فيما بين القرنين الثاني والثالث الهجريين، وهي الفترة التي نضجت فيها حركة اللقاح الثقافي [illegible] عن هذه [illegible]، ويدلل بأكثر من وجه على أن البلاغة [illegible] في الأدب العربي. فالعرب[1] أهل [illegible] لكل شيء. [illegible] بلاغته في [illegible] في سورة [illegible] [illegible] القرآن، خلق الإنسان، علمه البيان» وقال: «هذا بيان للناس» [illegible] وجودة [illegible]: «عربي مبين» وقال: «وكذلك [illegible]» «ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء» وقال: «وكل شيء فصلناه تفصيلا[3]».

(1) [illegible] البيان والتبيين ج ١ — ٢٣ و ٢٤.
(2) نفس المصدر
(3) [illegible] ج ١ [illegible] ٢٤

والعرب أهل [illegible] في [illegible] والله في الخصومة [illegible]
والدهاء، والنكراء، وفي هذه الطبقة [illegible] البلاغة وقوة المنطق [illegible] وذكر الله تعالى
نبيه [illegible] في بلاغة المنطق، ورجاحة الأحلام، وصحة العقول، وذكر
العرب وما فيها من الدهاء، والنكراء، والمكر، ومن بلاغة الألسنة واللدد عند
الخصومة فقال: «فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد» وقال: «لتنذر به
قوما لدا» وقال: «ويشهد الله على ما في قلبه، وهو ألد الخصام» وقال
«أآلهتنا خير أم هو؟ ما ضربوه لك إلا جدلا، بل هم قوم خصمون» ثم ذكر
خلابة ألسنتهم واستمالتهم الأسماع بحسن منطقهم فقال: «وإن يقولوا تسمع
لقولهم» ثم قال: «ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا» مع قوله:
«وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل[1]».

والعرب أهل البيان [illegible] البلاغة، و[illegible]
[illegible] ذلك حين [illegible]، أو حين [illegible]، أو [illegible] أو [illegible]. «وكل شيء
للعرب فإنما هو بديهة وارتجال، وكأنه إلهام، وليست هناك معاناة ولا مكابدة،
ولا إجالة فكر ولا استعانة، وإنما هو أن يصرف وهمه إلى الكلام، وإلى رجز
يوم الخصام، أو حين يمتح على رأس بئر، أو يحدو ببعير، أو عند المقارعة، أو
المناقلة، أو عند صراع، أو في حرب، فما هو إلا أن يصرف وهمه إلى جملة
المذهب، وإلى العمود الذي إليه يقصد، فتأتيه المعاني أرسالا، وتنثال عليه
الألفاظ انثيالا[2]».

والجاحظ يقرر كذلك أن العرب أهل [illegible][3] بعد ذكر [illegible]
الأشعب [illegible]

(1) [illegible] ص ٢٠.
(2) [illegible] ص ٢٥.
(3) [illegible] ٢٤٧ — [illegible] من عصر الجاحظ [illegible]
وزاد بها كل علوم البلاغة من معان وبيان، ولم تعرف هذه التقسيمات إلا بعد الجاحظ [illegible]
[illegible]

هم ساعد الدهر الذي يتقى به ... وما خير كف لا تنوء بساعد ؟

« قوله : هم ساعد الدهر ، إنما هو مثل ، وهذا الذي تسميه الرواة البديع ، وقد قال الراعي :

هم كاهل الدهر الذي يتقى به ... ومنكبه إن كان للدهر منكب

وقد جاء في الحديث : موسى الله أحدّ ، وساعد الله أشدّ ؛ والبديع مقصور على العرب ، ومن أجله فاقت لغتهم كل لغة ، وأربت على كل لسان ، والراعي كثير البديع في شعره ، وبشار حسن البديع ، والعتّابي يذهب شعره في البديع[1] » .

ويقول الجاحظ في مكان آخر : « ونحن — أبقاك الله — إذا ادعينا للعرب أصناف البلاغة من القصيد والأرجاز ، ومن المنثور والأسجاع ، ومن المزدوج وما لا يزدوج ، فمعنا العلم على أن ذلك لهم شاهد صادق من الديباجة الكريمة ، والرونق العجيب ، والسبك والنحت الذي لا يستطيع أشعر الناس اليوم ، ولا أرفعهم في البيان أن يقول في مثل ذلك إلا في اليسير والشيء القليل[2] » .

وليس من همنا أن نستقصي دوافع الجاحظ في هذه العصبية ، ودوافعه في التنبيه بأصالة البيان العربي ، فذلك أحرى أن نستقصيه في غير هذا . ولكن يكفينا أن نلاحظ بوجه عام أنه قد جهد في هذه السبيل جهداً كبيراً ، ولم يكن الجاحظ في هذا الموقف المدافع فقط في حرب الشعوبية كما زعم ذلك الدكتور « طه حسين » الذي يتهم الجاحظ في هذا التعصب ومحاربته[3] ذلك أن الجاحظ يقرر أن البلاغة العربية موجودة قبل أن تستفحل حركات التأثير الأجنبي ، وقبل اتصال العرب بالثقافات اليونانية والفارسية ، فالبلاغة تحتفظ بعناصرها

(١) البيان والتبيين جـ ٣ – ٢٤٧

(٢) البيان والتبيين : جـ ٣ — ٢٥ .

(٣) راجع تمهيد في البيان العربي من الجاحظ إلى عبد القاهر — مقدمة كتاب نقد النثر للدكتور طه حسين .

وصورها موجودة في الأدب الجاهلي ، كما هي موجودة في الأدب الإسلامي في عصوره الأولى ، ومن ثم فإن العرب قد عرفوا البلاغة قبل أن يطلعوا على البلاغة الهندية أو الفارسية أو اليونانية .

ومهما يكن من أمر فإنه قد كان للعرب اختصاص فني له خصائصه النفسية أو الحسية ، وأن هذا الفن قد بلغ درجة ما من الرقي والجودة ، وأنه كان صورة من صفة حية تنبع منهم ، ممثلاً لخصائصهم وميولهم ، وأنه فوق هذا كله ، كان مادة خصبة أدبية واسعة ، تلقاها الإسلام ، ثم ترعرعت في عصوره اللاحقة .

الفصل الثاني

النثر في عهد النبوة

منذ ظهور الإسلام إلى سنة ٤١ هـ

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

والذى يعنينا الآن هو أن ندرس النثر الفنى فى عهد النبوة ومبتدأ الإسلام وهى الفترة التى يطلق عليها كثير من مؤرخى الأدب « عصر صدر الإسلام » من السنة الأولى [illegible] وأربعين للهجرة ، الذى يعنينا فى هذا العصر هو أن ندرس النثر فى هذه الفترة ، [illegible] ونقف على [illegible] وهل اختلفت [illegible] على هذا [illegible] سندرس كل هذا [illegible] القول [illegible] هذه الفترة .

ولقد درج بعض مؤرخى [illegible] هذه الفترة فى الفترة التى تليها ، وهى فترة الخلافة الأموية ويطلقون عليهما معاً اسم « عصر صدر الإسلام »(1) و « العصر الإسلامى »(2) [illegible] فى دراسة [illegible] الفنى ، لأنه مما لا شك فيه ، أن النثر فى عصر بنى أمية — [illegible] كان قد [illegible] فى [illegible] من حيث [illegible] وقوة [illegible] فى كشف هذه [illegible] وفى ذلك [illegible] عن [illegible] من [illegible] فى هذه [illegible] ذلك [illegible] عبد الحميد بن يحيى [illegible] تلك الطريقة التى وضعت أساساً جديداً [illegible] كل من جاء بعده حتى قيل : « بدئت الكتابة بعبد الحميد ، وختمت بابن العميد(3) » .

أسلوب القرآن :

لما كان القرآن الكريم أثراً خالداً من آثار [illegible] ومعجزة [illegible]

(1) [illegible] ٨٧
(2) [illegible] ٥٧ [illegible]
(3) [illegible]

على الزمان، وتاجا لتلك النهضة الأدبية التي عرفها العصر الجاهلي، وعاملا من أقوى العوامل التي وجهت تطور الحياة الأدبية في العصور الإسلامية، كان لا بد من أن نعرض هنا في إيجاز لأهم خصائص الأسلوب القرآني وما اشتمل عليه من فنون الجمال الأدبي.

والقرآن الكريم نثر في خصائصه [illegible] وصوره، وأحكامه، في مرتبة لا يساويه [illegible] ولا يدركه [illegible]، وهو مرتبة الإعجاز. ولقد [illegible] القرآن بلغة العرب، وعلى لسان رجل من رجالهم، نزل تلك النهضة الأدبية العامة الموحدة التي كان [illegible] في ميادين البلاغة [illegible] الآثار الأدبية [illegible] من شعر ونثر.

ولما كان [illegible] في بلاغته وفصاحته [illegible] في ميدان [illegible] قومه، وقد لقي الرسول منهم في بدء الدعوة [illegible] من العنت والعناد والإنكار والاستكبار، تحداهم القرآن أن يأتوا بسورة من مثله فعجزوا [illegible] وإعجاز القرآن ليس في شيء خارج عنه، بل إن إعجازه [illegible] في نظمه والسياق، فليس معجزا بالصرفة[1] بمعنى أن الله تعالى صرف الناس عن [illegible] والإتيان بمثله، لأنه بذلك تكون [illegible] شيء معجز [illegible] لا [illegible] فيها ولا قيمة له. وليس كذلك معجزا [illegible] من [illegible]، لأن هذا هو [illegible] من [illegible] مثل قوله تعالى «قل هو الله أحد، الله الصمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد» وليس كذلك [illegible] على الأمور الغيبية، والإخبار عن هذا الطريق [illegible] عن الأمور الغيبية، فذلك شيء [illegible] والإعجاز الحقيقي [illegible] في [illegible] والحكمة [illegible] العصور

(1) [illegible] وقد ناقشهم الباقلاني في إعجاز القرآن وقد ذهبوا إليه راجع ص ٣٢ و ٦٧ من كتاب دلائل الإعجاز طبع القاهرة [illegible].

[illegible] وقد كان [illegible]

[illegible]

[illegible] ووقوعه في النفس موقع القبول ، [illegible]
وشكله على جهته [illegible] على الرهان ، ودلالة التأليف مما لا ينحصر حسناً [illegible]

[illegible] الصفة عند أنه [illegible]
[illegible] البيان ، وأنه مميز كل المميز من سائر [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] من [illegible]

[illegible] القول ومادن اللسان .

ولعل من أبرز مميزات الأسلوب القرآني أنه نثر فني خالص قد خلا [illegible] من [illegible] إلا ما جاء من ذلك قليلا وعن غير قصد ، وأنه قد [illegible] راثعاً محكماً ، يحمل [illegible] [illegible] هذه الابتداءات التي اختلف [illegible] في فهم معناها ، وتبيين المراد [illegible] عميقاً في النفس مما زاد الأسلوب روعة وبهجة وقوة أ...

[illegible]

[illegible] يدعون من دون الله ، أروني [illegible] هنا بعباد الأصنام ، [illegible]

السماء ، ثم [illegible] الحجة بهذا التحدى الصارخ : « ائتونى بكتاب من قبل هذا أو أثارة من [illegible] » [illegible]
أى « ائتونى بكتاب من قبل هذا [illegible] ، و[illegible]
[illegible] — و[illegible] .

ومن [illegible] أيضاً أنه قد انفرد بطريقة [illegible] فى الأداء النفسى
[illegible] على رعاية مقتضيات الأحوال ، وملاحظة الصلة الدقيقة بين اللفظ والمعنى
[illegible] . [illegible] الانفعال النفسى من عنف ورقة وهو [illegible]
[illegible] شديدة الصلة بها والاتحاد معها ، والاستجابة
[illegible] وأعدته هو ما يثير الانفعال ، ويحرك النفس بحركته دائماً ،
[illegible]
[illegible]

[illegible] مثلا كان يدافع بحرارة عن هذا الدين الجديد ، ويتحمس
[illegible]
[illegible]
[illegible] فى يتمثل فيها هذا الدفاع كثيرا ما تكون جملا قصيرة [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
أموالهم حق معلوم ، للسائل والمحروم ، [illegible]
من عذاب ربهم مشفقون ، إن عذاب ربهم [illegible]
[illegible] على المشركين ، وهذه الآيات القصيرة السريعة التى [illegible] فى قوة [illegible] ،
[illegible] ويقول [illegible] فى
سورة الحاقة : « يومئذ تعرضون لا تخفى منكم [illegible]

(١) انظر تطور الأساليب النثرية ٣٦ و ٣٧

فنقول لهؤلاء اقرءوا كتابه «إن صدقت في ملاوي [illegible]» فهو في [illegible]
في [illegible] وشره [illegible] في [illegible] .
وإن من أوتي [illegible]
[illegible]
[illegible] لا [illegible]
[illegible]
[illegible] موسيقى جميل ، يوقظ الإحساس ، ويخاطب القلب [illegible]
[illegible] إلا [illegible] من أمرها قلقة على مصيرها [illegible] من أصحاب
[illegible]
[illegible] الأولى في [illegible]
[illegible]

أما في المدينة :

[illegible]
ويحتك المسلمون باليهودي [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] عند الله الإسلام ،
وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ، ومن
يكفر بآيات الله فإن الله سريع الحساب ، فإن حاجوك فقل أسلمت وجهي لله
ومن اتبعن ، وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين أأسلمتم ؟ فإن أسلموا فقد
اهتدوا ، وإن تولوا فإنما عليك البلاغ والله بصير بالعباد » [illegible]
نفسها «يا أهل الكتاب لم تحاجون في إبراهيم وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من
بعده ، أفلا تعقلون ، ها أنتم أولاء حاججتم فيما لكم به علم ، فلم تحاجون فيما

[illegible] ولكن كان [illegible] فهذه [illegible] هادئة [illegible]

[illegible] كما نجدها في السور [illegible]

[illegible] وجهات واختلاف مقتضيات الأحوال ، يستلزم تنوع الأسلوب واختلاف [illegible] ولكن هذا الاختلاف الذي نلاحظه بين أسلوب [illegible] في حقيقته [illegible] من هذه [illegible] نسق واحد يتسم كله بالإعجاز وكمال البلاغة ، ولكن [illegible] بحسب اختلاف الأسلوب وقد أشار أبو هلال العسكري إلى هذا [illegible] العرب والأعراب ، أخرج الكلام مخرج الإشارة والوحي [illegible] في مواضع [illegible] ابن قتيبة في هذا الصدد أيضاً [illegible] في كل موضع ، ولا [illegible] في كل الأحوال [illegible] وحذف [illegible][2] »

من هذا كله [illegible] الأسلوب [illegible] كان يختلف باختلاف الظروف ومقتضيات الأحوال ، ويعطي لكل حالة ما يناسبها من [illegible] أو الإطناب ، الذكر أو الحذف ، التقديم [illegible] أو الانفصال . كل ذلك في سبك محكم [illegible]

السجع في القرآن

وإذا كان لكل مقام ما يناسبه ، ولكل موضع [illegible]

(١) [illegible] ١٤٤

(٢) [illegible]

الأساليب؛ فإن أسلوب القرآن في سور الكلام كان يغلب عليه السجع القصير الفواصل، كما كان يشيع فيه الإيقاع الخاص. أما في السور المدنية التي كانت موضوعاتها تشريعية فقد لا يكثر فيها السجع، وتطول الفواصل، ولأن السجع هو الذي يناسب هذه الموضوعات لما فيه من قوة التأثير — وقد شرحنا ذلك في موضعه السابق — إذن فليس ثمة ما يدعو إلى القول بأن القرآن قد تجنب السجع لأنه أسلوب الكهان، ولا معنى أن نعني القرآن بأنه تجنب أسلوب الكهان. والحقيقة أن القرآن ملئ بالسجع القصير والطويل، وليس من الحق ما يشيع من هذه الحجة أن الكهان كانوا يسجعون، وأن النبي حرم السجع من أجل هذا؛ فالسجع طريقة من طرق الأداء الفني يجري بها الطبع أحياناً، وهو يتفاوت قوة وضعفاً، وجودة ورداءة، وقد يجيء متكلفاً مرذولاً حين يقصد إليه، وحين يكون عملاً زخرفياً بعيداً عن الطبع، وهو في القرآن قد بلغ أرقى درجات البلاغة والقوة والفصاحة. ولا شك في أن [illegible] بعض هذه الأساليب في قوله تعالى: «والنجم إذا هوى، ما ضل صاحبكم وما غوى، وما ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى، علمه شديد القوى، ذو مرة فاستوى» إلى آخر هذه الآيات القصيرة [illegible] وكذلك قوله تعالى: «والضحى والليل إذا سجى، ما ودعك ربك وما قلى، وللآخرة خير لك من الأولى، ولسوف يعطيك ربك فترضى، ألم يجدك يتيماً فآوى، ووجدك ضالاً فهدى، ووجدك عائلاً فأغنى، فأما اليتيم فلا تقهر، وأما السائل فلا تنهر، وأما بنعمة ربك فحدث» إلى غير ذلك في كثير من سور القصار وصور كلها مسجوعة أو مشتملة [illegible] على السجع [illegible] من [illegible] فلا معنى [illegible] به [illegible] في السجع في القرآن.

هذا — وفي القرآن الكريم ألوان شتى من القيم الفنية البديعة، وضروب مختلفة من جمال الأداء، لا يتسع هذا [illegible] لاستقصائها [illegible] حسبنا هذه اللمحات [illegible] خصائص القرآن الأدبية

[illegible]

الصورة العامة للنثر الفنى عند مبعث الإسلام

فقد عرفنا مما سبق أن الإسلام [illegible]

[illegible] ثم فى الكتابة إلى الملوك و[illegible] العشائر ، [illegible]

[illegible]

أنواع النثر فى هذه الفترة :

[illegible] النثر التى عرفت عند ظهور الإسلام [illegible] الأنواع التى سبق أن عرفناها فى العصر الجاهلى ، [illegible] ذلك أن الكتابة الخطية لم تكد تعرف معرفة كاملة ، أو تستخدم استخداماً تاماً فى الأغراض المختلفة إلا حينما جاء الإسلام ، ودعا إلى تعلم القراءة والكتابة ، حتى جعل الرسول صلى الله عليه وسلم ، فداء الأسير من المشركين فى بدر تعليم عشرة من صبيان المسلمين القراءة والكتابة ، حينئذ شاعت الكتابة ، واستخدمها الناس فى كافة أغراضهم فكان الرسول يملى رسائله على كتابه ، وكان الخلفاء من بعده يكتبون أو يستكتبون إلى ولاتهم وعمالهم ورؤساء جيوشهم فى مختلف الشئون ، وهؤلاء يردون عليهم ،

وكان الرجل يكتب إلى أبيه أو عشيرته موصياً، وإلى إخوانه مهنئاً أو معزياً، وهكذا أدى شيوع الكتابة ومعرفة الناس بها عند مستهل الإسلام إلى ظهور نوع جديد من النثر لم يكن معروف الصنعة تماماً من قبل. وهذا النوع هو الرسالة

ولم يستخدم العرب الكتابة في بداية عهدهم بها إلا في هذا النوع الفني من الكتابة تقريباً وهو كتابة الرسائل، ولم يكتبوا [illegible] كتباً [illegible] فيه في التاريخ، ولا في الأدب، ولا في القصة، ولا في غير ذلك من فنون النثر الأخرى، ولم يدونوا شيئاً من [illegible] العلم [illegible]، واهتموا بكتابة المصحف لجمع كل ما كتب منه [illegible] وكان [illegible] هو [illegible] في [illegible] كتب [illegible] العرب، ومع [illegible] من [illegible] في [illegible] الرسالة — على الرغم من [illegible] — [illegible] من [illegible] في [illegible] من [illegible] وبذلك [illegible] أنواع [illegible] في عهد [illegible] هي [illegible] الخطابة، و[illegible] الرسائل.

وقد سبق عند كلامنا على [illegible] أن عرفنا كل نوع من هذه الأنواع فقلنا إن الرسالة هي ما يكتبه الكاتب إلى [illegible] في غرض من الأغراض [illegible] من عتاب أو تهنئة أو [illegible] أو غيرها ونسمي هذا النوع بالرسائل الإخوانية، أو ما يكتبه السلطان أو نائبه إلى [illegible] في غرض من [illegible] وهذه تسمى بالرسائل السلطانية، أو ما يكتبه [illegible] الدواوين إلى [illegible] في شأن من شئون الدولة وتسمى هذه النوع بالرسائل الديوانية، ولا [illegible] هذه الأنواع التي تفرعت منها الرسالة [illegible] هو [illegible] كان [illegible] من القيم الأدبية الجامعة.

وهناك نوع من [illegible] بكثرة في هذه [illegible] — وعلى الأخص في مجالس الوعاظ والزهاد — وهو من ناحية موضوعه أشبه شيء بذلك النثر [illegible] الذي كان ينتشر على ألسنة الكهان في الجاهلية في العصر الجاهلي فهو من [illegible] [illegible] الديني، ويسميه بعض[1] مؤرخي النثر — [illegible] الأخلاقية — وهو

---

(1) أحمد [illegible] [illegible] ١٢٨

في الخطبة نوع من الخطب [illegible] على الترغيب والترهيب، والوعد والوعيد، و[illegible]
في [illegible] والعقاب من [illegible]، و[illegible] في الآخرة و[illegible]، وهذا النوع
كثير [illegible] — [illegible] نماذج للأنواع [illegible]
[illegible]

موضوعات النثر

الموضوع هو الغرض الأساسي الذي من أجله يقصد المنشئ [illegible]
أو [illegible]، و[illegible] وقد كانت الأغراض الأدبية في بيئة ما [illegible]
صدى لما يتردد في هذه البيئة من أحداث، وما يجري فيها من أمور، حيث
إن الشاعر أو الكاتب أو الخطيب [illegible] صورة [illegible] ما يحس [illegible]
الأغراض الأساسية [illegible] الأدبية لا بد أن تختلف من بيئة إلى بيئة، ومن وقت
إلى [illegible] طبيعة الزمان والمكان [illegible]

النثر

[illegible] في الإسلام قد [illegible] من [illegible] واحدة [illegible] في العصر
الجاهلي، ذلك لأن [illegible] العربية في الإسلام قد [illegible] واختلفت
أوضاعها، حيث [illegible] إلى نظام جديد غير كثيراً من أحوالهم وشئونهم
العامة.

وكذلك [illegible] من أهل البلاد المفتوحة، و[illegible]
[illegible] عن [illegible]
في شتى [illegible] والأوضاع [illegible] استحدثت في الكتابة الفنية
أغراض وموضوعات جديدة لم تكن موجودة من قبل، كما توارت أغراض
وموضوعات [illegible] كانت شائعة ومستعملة. وما ذلك إلا لأن البيئة العامة قد
تغيرت فلا بد أن يشمل هذا التغير كل كائن فيها.

وبعد [illegible] الأغراض العامة للكتابة يمكن أن [illegible]
[illegible]: (١) [illegible]

كما يراسلون في كتابة خراج، و[illegible] ثغر، أو عمارة بلاد وإصلاح فساد، أو تحريض على جهاد، أو احتجاج على فئة، أو دعاء إلى ألفة، أو نهي عن فرقة، أو تهنئة بعطية، أو تعزية برزية، أو ما شاكلها من جلائل الخطوب ومعظم الشئون التي يحتاجون فيها [illegible] وتوقي [illegible] ومعرفة مقاصده»(1).

هذه الأغراض التي ذكرها ابن قتيبة تشمل الرسائل الإخوانية والسياسية والديوانية، وكلها أنواع قد عرفت في هذا العهد كما قدمنا، ومن الممكن أن تشمل هذه الأغراض [illegible] إلا [illegible] على أداء [illegible] هذه الأغراض [illegible] ولا فرق بينهما إلا أن الخطبة تلقى مشافهة على الجمع من الناس، والرسالة تدبج ثم يبعث بها شخص إلى آخر، وفي هذا يقول أبو هلال العسكري: «[illegible] الرسائل [illegible] كلام لا يلحقه وزن ولا تقفية، وقد يتشاكلان أيضاً من جهة الألفاظ [illegible] في السهولة والعذوبة، وكذلك فواصل الخطب مثل فواصل الرسائل، ولا فرق بينهما إلا أن الخطبة يشافه بها، والرسالة يكتب بها، والرسالة تجعل خطبة، والخطبة تجعل رسالة في أيسر كلفة»(2).

نماذج مختلفة لأنواع النثر في هذا العهد:

[illegible] عسى أن يكون قد طرأ [illegible] في عهد [illegible] واستبعاد كل ما فيه شبهة لغرض سياسي ومذهبي أو ديني حتى تكون أكثر [illegible]

(1) [illegible] ص ٣٥ نقلا عن ابن قتيبة.
(2) [illegible]

أولاً – الحديث النبوي الشريف

لقد حفظت كتب السنة والحديث [illegible] وأدب [illegible] كثيرة من أحاديث التي تنسب إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فهل لنا أن نثق بكل هذه الأحاديث [illegible] في هذا [illegible] ونعتمد عليها في تحديد خصائص الكتابة [illegible] للعهد [illegible]

[illegible]

ونحن نرى أن من [illegible] الاستشهاد به [illegible] بعض هذه الأحاديث [illegible] في شيء من الاحتياط والحذر، وأن [illegible] في الاستشهاد إلا بعد أن نتثبت منها، ونتأكد من صحتها، ذلك لأن أحاديث الرسول في مجموعها قد تعرضت لكثير من الأهواء والأغراض [illegible] والمذهبية والشعوبية وغيرها من الأمور الكثيرة التي [illegible] كثيراً من الأحاديث وتنسبها إلى النبي صلى الله عليه وسلم، حتى تكسب أغراضهم الخاصة بذلك، لما للأحاديث النبوية من القداسة والتصديق والاحترام، وقد كانت للرسول

(١) [illegible] — محمد [illegible] — [illegible] ٣٦

والأحاديث في [illegible] موضوع [illegible] وبحث [illegible] هي الأحاديث [illegible] من هذه [illegible] من [illegible] عن كل هوى [illegible] الأحاديث [illegible] محمد صلى الله عليه وسلم ، ليدعو بها [illegible] أو يبلغ أمراً من أمور [illegible] وهذه أحاديث كثيرة مما اتفق على رواته وضبط سنده البخاري ومسلم

طائفة من الأحاديث الصحيحة

١ — قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] الله به خيراً يفقهه في الدين ، وإنما أنا قاسم والله يعطي ، [illegible] هذه الأمة [illegible] على أمر الله ، لا يضرهم من [illegible] حتى [illegible] أمر الله[1]

٢ — وقال [illegible]

٣ — وقال [illegible] قد سمعتم أن أبا عبيدة قدم بشيء من [illegible] [illegible] [illegible] كما [illegible] [2]

٤ — وقال [illegible]

[illegible]

الناس بالأموال وتذهبون بالنبي إلى رحالكم، فوالله لما تنقلبون به خير مما ينقلبون به . قالوا يا رسول الله قد رضينا ، فقال لهم النبي : ستجدون أثرة شديدة فاصبروا حتى تلقوا الله ورسوله ، فإني على الحوض (١) » .

٥ — وقال : « يدخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار ، ثم يقول الله تعالى أخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان ، فيخرجون منها قد اسودوا فيلقون في نهر الحيا أو الحياة — شك مالك — فينبتون كما تنبت الحبة في جانب السيل ، ألم تر أنها تخرج صفراء ملتوية (٢) » .

٦ — وقال : « الأعمال بالنية ، ولكل امرئ ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله ، فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه (٣) » .

كل هذه الأحاديث وما كان على شاكلتها [illegible] تتضمن شيئاً كثيراً من الأمثال [illegible] كصاحب رسالة — [illegible] بين الخير والشر ، والنفع والضر ، والهدى والضلال [illegible] إلى غير ذلك من الأمور الكثيرة التي من شأن صاحب الرسالة [illegible] عن ذلك مما يجعل من شأنها ، ويضعف الثقة [illegible] الأحاديث [illegible] عن عائشة رضي الله عنها [illegible] رضي الله عنه [illegible] أي حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] الأحاديث التي

(١) مسلم ج ٣ ص ٥٠
(٢) بخاري ج ١ ص ٧
(٣) بخاري ج ١ ص ٣

[illegible] آخر الحديث[1] » وروى عن أبي هريرة أنه قال: « ما من أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر حديثاً مني إلا ما كان من عبد الله بن عمرو فإنه كان يكتب ولا أكتب، وقال عبد الله: كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم أريد حفظه[2] ».

[illegible] القرن الهجري الأول [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] وأخبار [illegible] قد نقلوا عنها مباشرة، فنقول: إنه ما دمنا [illegible] الأحاديث التي سنجعلها موضع دراستنا؛ بحيث كانت [illegible]

[illegible]

تترتب على دراستنا لها.

ثانياً — الكتب النبوية

[illegible]

[illegible] صلى الله عليه وسلم

إلى [illegible]

الإسلام [illegible]

كتب اللغة والتاريخ والأدب [illegible]

(١) [illegible]

(٢) [illegible] صحيح البخاري [illegible]

[illegible] الكبرى لابن سعد ، صبح الأعشى للقلقشندي ، العقد الفريد لابن عبد ربه . وعلى الرغم من أن [illegible] رواية كثير من [illegible] [illegible] [illegible] شيء من [illegible] . وما قلناه بصدد الأحاديث نقوله هنا ، فلابد إذن من [illegible] [illegible] أحيانا .

[illegible] الكبرى لابن سعد :

١ — كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم لعوسجة بن حرملة الجهني [illegible] بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما أعطى الرسول عوسجة بن حرملة الجهني من ذي [illegible] [illegible] وحقه حق ، وكتب عقبة وشهد[1] » .

٢ — [illegible] بديل وبسر وسروات [illegible] وإن أكرم أهل تهامة [illegible] أما بعد : « فإني لم [illegible] [illegible] مكة [illegible] [illegible] على [illegible] عكرمة [illegible] والله [illegible] [illegible] عليه سلام » .

---

(١) [illegible] لابن سعد [illegible]

(٢) [illegible] ٢ — ٣٧

٣ — وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهل هجر : « أما بعد فإني أوصيكم بالله وبأنفسكم ألا تضلوا بعد إذ هديتم ، ولا تغووا بعد إذ رشدتم — أما بعد — فإنه قد جاءني وفدكم ، فلم آت إليهم إلا ما سرهم ، ولو أني اجتهدت فيكم جهدي كله أخرجتكم من هجر ، فشفعت غائبكم ، وأفضلت على شاهدكم ، فاذكروا نعمة الله عليكم — أما بعد — فإنه قد أتاني ما صنعتم ، وأنه من يحسن منكم لا أحمل عليه ذنب المسيء ، فإذا جاءكم أمرائي فأطيعوهم ، وانصروهم على أمر الله وفي سبيله ، وأنه من يعمل منكم صالحة فلن تضل عند الله ولا عندي [1] » .

٤ — وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] كاهل [illegible] : « هذا كتاب من محمد [illegible] من باهلة ، أن من [illegible] فهو له ، وعليهم في كل ثلاثين من البقر فارض ، وفي كل [illegible] وفي كل [illegible] من [illegible] [illegible] وهم [illegible] بأمان الله [2] » .

٥ — وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم لبني جناب من كلب : « هذا كتاب من محمد [illegible] لبني جناب وأحلافهم ومن ظاهرهم على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والتمسك [illegible] بالعهد ، وعليهم في السائمة الراعية [3] في كل خمس [illegible] [4] لهم لاغية ، و[illegible] [5] والصدق [illegible] من أرض نفسه [illegible] صدقة لا [illegible] عليهم . شهد سعد بن عبادة وعبد الله بن أنيس ودحية بن خليفة الكلبي [7] » .

(١) [illegible]
(٢) [illegible]
(٣) [illegible]
(٤) [illegible]
(٥) [illegible]
(٦) [illegible]
(٧) [illegible]

عند طائفة من أحداث [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
فى عهد [illegible] ، وعلينا الآن أن نذكر أهم خصائصها [illegible] [illegible] ثم [illegible]
فى [illegible] [illegible] النثر الأخرى لهذه المرحلة .

[illegible] الخصائص العامة لهذه [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] من ملاحظة [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
كان [illegible] من [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] يتعمد فيها السجع
ولا [illegible] [illegible] [illegible] من [illegible] [illegible] [illegible]
أو [illegible]

السجع

[illegible] [illegible] أبو هلال [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] فى جميع [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] من
[illegible] [illegible] كلام [illegible] كان يشيع فيه أحيانا السجع الفطرى [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
وإنما كرهه لأن [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
قال للذى [illegible] [illegible] من لا شرب ولا أكل ولا [illegible] [illegible] ومثل ذلك
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
السجع [illegible] هو [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] من [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] وسلم السجع لذاته لقال : [illegible]
ثم [illegible] [illegible] [illegible] مبينا ان النبى كان يسجع فيقول : « وقد [illegible]
عنه [illegible] [illegible] أكثر من كلامه عليه السلام ، فمن ذلك ما حدثنا به [illegible]
الإمام [illegible] قال حدثنا محمد بن خالد بن عبد الله أبو [illegible] [illegible] عن [illegible] عن

[illegible]

روى ابن أبي أوفى عن عبد الله بن سلام قال: «لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة انجفل الناس قبله، وقيل قد قدم رسول الله، فجئت في الناس لأنظر إليه، فلما تبينت وجهه عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب، فكان أول شيء تكلم به أن قال: يا أيها الناس أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام». وكان صلى الله عليه وسلم [illegible] كلامه عن وجهها الموازنة بين الألفاظ، وإتباع الكلمة أختها، كقوله صلى الله عليه وسلم: «أعيذه من الهامة والسامة وكل عين لامة» وإنما أراد ملمة. وقوله عليه السلام: «ارجعن مأزورات غير مأجورات» وإنما أراد موزورات من الوزر فقال مأزورات لمكان مأجورات قصداً للتوازن وصحة التسجيع»(1).

وليس في كلام الغزالي [illegible] في مسألة السجع حين تناول [illegible]، وهو أن السجع لون من ألوان الأداء، يكون جميلاً [illegible] إذا أوحى به الطبع، وقبيحاً مرذولاً [illegible] [illegible] [illegible] وفي بعض كلامه [illegible] السجع [illegible] وملأ اللغة فساداً إبان العصور الماضية المتأخرة والعصور الأخيرة [illegible] فهذا الغزالي [illegible] السجع قد وجد في كلام الرسول صلى الله عليه وسلم، وهو وإن لم يتسع لنا فيما أوردناه من سرد الأحاديث [illegible] من كلامه عليه السلام، ولعل من أجمل مواقع السجع [illegible] قوله صلى الله عليه وسلم: «اللهم إني أعوذ بك من طمع يهدي إلى طبع، ومن طمع في غير مطمع، ومن طمع حيث لا مطمع. اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، وقلب لا يخشع، ودعاء لا يسمع، ونفس لا تشبع. اللهم إني أعوذ بك من الجوع فإنه بئس الضجيع، ومن الخيانة فإنها بئست البطانة، ومن الكسل والبخل والجبن، ومن الهرم، ومن أن أرد إلى أرذل العمر»(2).

---

(1) [illegible] ص [illegible]

(2) إحياء العلوم — [illegible] ٣٣

إذن لقد وجد السجع في القرآن ، كما وجد في كلام الرسول [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] فصول الكلام ، [illegible]

البدء والختام في الرسائل النبوية

والرسول في كتبه لم يلتزم طريقة واحدة في البدء أو [illegible] [illegible] — بأما بعد — وأحيانا — بسم الله [illegible] — محمد رسول الله [illegible] — وأحيانا [illegible] [illegible] بدون سلام مطلقا .

وعدم التزام طريقة واحدة في أساليب البدء والختام [illegible] [illegible] « كالمامة ، والحولة [illegible] » [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

الإيجاز والإطناب في أساليب الرسول

[illegible]

[illegible]

[illegible]

في أحاديثه وكتبه [illegible] في الأدب [illegible] ولكن قبل الإسلام [illegible] ولذلك فيه آثار الإعجاز على الأسلوب [illegible] وسوح عند كلاما على الخصوص [illegible] النثر الفني في عهد [illegible]

ومهما يكن من [illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible] من [illegible] في [illegible] حكمة [illegible] وإرشاده، ودقة الأمر وبعد الإشارة. قال الجاحظ بعد كلامه [illegible] صلى الله عليه وسلم « [illegible] ولا يحتج إلا بالصدق، ولا يطلب الفلج إلا بالحق، ولا [illegible] ولا [illegible] ولا [illegible] ولا [illegible] ولا [illegible] ثم لم يسمع الناس بكلام قط [illegible] ولا أصدق لفظا، ولا [illegible] ولا أحسن [illegible] ولا أكرم مطلبا، ولا أحسن موقعا، ولا أسهل مخرجا، ولا أفصح عن معناه، ولا أبين عن فحواه من كلامه صلى الله عليه وسلم[1] ».

وقال محمد بن سلام: قال يونس بن حبيب: « ما جاءنا عن أحد من روائع الكلام [illegible] عن رسول الله صلى الله عليه وسلم[2] ».

وبعد [illegible] في عهد [illegible] طائفة من النصوص النثرية الخالدة، على أن [illegible] للنثر الفني في هذا العهد.

أولا — الخطابة

[illegible] الإسلام [illegible] في [illegible] ملازمة [illegible] في حياة الإسلامية [illegible] نثرا وشعرا. فالدعوة إلى الإسلام، والحروب

(1) [illegible] ص ١٦
(2) [illegible] ص ١٨

الكثيرة ، والفتوحات [illegible] ، وحركات [illegible] ، و[illegible]
السامية و حربه ، [illegible] من [illegible] ، كل هذا
وما إليه كان يستدعى [illegible] عن السحر حتى
حسب الأحوال ، [illegible] الأمر تهائياً لهذا الدين الناشئ الجديد . إذن : فقد
توفرت للخطابة في عهد النبوة أهم مقوماتها وأجل دواعيها ، فلا عجب إذن أن
تنهض وتقوى ، [illegible] ، ولا بد من [illegible] يكون لهم من
قوة [illegible] ، [illegible] على [illegible]

أشهر الخطباء في عهد النبوة

وقد كان [illegible] أشهر الخطباء في صدر الإسلام ، [illegible]
في [illegible] وعلى رأسهم محمد صلى الله عليه وسلم ، فهو أخطب العرب [illegible] ،
أوتي جوامع الكلم ، واختصر له الكلام اختصاراً ، وما من [illegible]
لا بد أن يكون قد خلف في هذا الفن [illegible]
المهمة التي ألقيت على عاتقه كصاحب دعوة [illegible]
خطب في [illegible]
[illegible] مثال أبي بكر
وعمر ، وعثمان ، وعلى ، فهؤلاء من أشهر الخطباء [illegible]
[illegible]

وهذه [illegible] من خطبهم [illegible]

نماذج الخطابة في عهد النبوة

١ — خطبة الرسول صلى الله عليه وسلم [illegible] في حجة الوداع
[illegible] الحمد لله ، نحمده ونستعينه ، ونستغفره ونتوب إليه ، ونعوذ بالله
من شرور أنفسنا [illegible]

(١) [illegible]
(٢) [illegible]

[illegible] وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله . أوصيكم عباد الله بتقوى الله ، وأحثكم على طاعته ، وأستفتح بالذى هو خير [illegible] فإنى لا أدرى لعلى لا ألقاكم [illegible] في موقفى هذا [illegible] حرام [illegible] كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا ، ألا هل بلغت ، اللهم اشهد ، فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها ، وإن ربا الجاهلية موضوع [illegible] موضوعة [illegible] وإن مآثر الجاهلية موضوعة غير السدانة والسقاية ، والعمد قود ، وشبه العمد [illegible] فهو من أهل الجاهلية [illegible] اللهم اشهد » الخ .

٣ — [illegible] فرفع الناس رؤسهم فقال : مالكم أيها الناس ؟ [illegible] فهو [illegible] ولا [illegible] من [illegible] بكتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وإنكم اليوم على خلافة [illegible] وسترون بعدى مُلكا عضوضا ومَلكا عنودا ، وأمة [illegible] [1] [illegible] ولا تفرقوا جماعته [illegible]

(١) [illegible]

أى بلادكم [illegible] (١) »

٣ — وخطب عمر [illegible]

[illegible]

أنواما يقرءون القرآن [illegible] ما عند الله [illegible]

وأريدوه بأعمالكم فإنا كنا نعرفكم إذ الوحى [illegible]

[illegible]

[illegible] (٢) »

[illegible]

الفنية للنثر فى هذا العهد

ثانيا — الوصايا

[illegible]

[illegible] أما الخطبة فهى كلام [illegible] على جمع

من الناس فى أمر من الأمور العامة [illegible]

[illegible] نحو هذا الأمر

(١) [illegible]

(٢) [illegible] ١٢٢

وقد [illegible] في كلام [illegible] وحديثه [illegible] ، وسنسوق الآن طرفا [illegible] عن [illegible] الأدبية [illegible] في عهد [illegible] .

[illegible]

من وصايا النبي صلى الله عليه وسلم قال رجل يا رسول الله : أوصني بشيء ينفعني الله به قال : « أكثر [illegible] يسلك عن الدنيا ، وعليك بالشكر فإن [illegible] وأكثر الدعاء [illegible] لا تدري متى يستجاب لك ، [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [1] »

وهذا طرف من وصية عمر للخليفة من بعده .

[illegible] لا شريك له ، وأوصيك بالمهاجرين الأولين خيراً أن تعرف [illegible] ، وأوصيك بالأنصار خيراً فاقبل من محسنهم وتجاوز عن مسيئهم ، وأوصيك [illegible] [illegible] ، وأوصيك بأهل البادية خيراً [illegible] ، وأوصيك [illegible] [illegible] [illegible] طوعاً أو عن يدوهم صاغرون ، وأوصيك [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ولا [illegible] [illegible] .

وصية [illegible]

[illegible]

[illegible]

عن السعيه يسر بجمعه ، ومن يحبه يندم ، ومن لا يقر بعين ما يأتى به السعيه يقر بالكثير ، وإذا أراد أحدكم أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فليوطن نفسه على الأذى ، وليوقن بالثواب من الله عز وجل ، إنه من يوقن بالثواب من الله عز وجل ، لا يجد مس الأذى [illegible]

ثالثاً : النثر الديني أو العظات الدينية والخلقية

[illegible] — [illegible] وإنما هو عظات دينية خالصة قوامها التوجيه إلى الله والدعاء إليه ، والترغيب في الآخرة والتنفير من الدنيا ، وهذا [illegible]

عظة للرسول صلى الله عليه وسلم :

[illegible] معالمكم ، وإن لكم [illegible] [illegible] شيبة قبل الكبرة ، [illegible] [illegible][2]

عظة لعمر بن الخطاب

وعظ [illegible] [illegible]

(١) الأمالى ج ٢ — ٥٢

[2] [illegible] ٢٢٢

[illegible]

أمانت فاحسن، فإني لم أر شيئا أشد طلبا ولا أسرع دركا من حسنة حديثة لذنب قديم[1]».

عظة لعلي بن أبي طالب :

روى صاحب الأمالي قال: «وحدثنا أبو بكر بن دريد رحمه الله قال: حدثنا العكلي عن أبيه قال [illegible] عن ابن عباس أنه قال: كتب علي إلى ابن عباس رضي الله عنه موعظة ما سررت بموعظة سروري بها: أما بعد، فإن [illegible] ما لم يكن ليفوته، ويسوؤه فوت ما لم يكن ليدركه، فما نالك من دنياك فلا تكثر به فرحا، وما فاتك منها فلا تتبعه أسفا، وليكن سرورك بما قدمت، وأسفك على ما خلفت، وهمك فيما بعد الموت[2]».

رابعا - الأمثال

[illegible] عن الأمثال العربية [illegible] [illegible] الإسلام، [illegible] كان الأمثال [illegible] [illegible] في خصائص الأدب [illegible] في عهد [illegible] — [illegible] من الأمثال في صدر الإسلام.

خامسا - أمثال قالها النبي

«إن من البيان لسحرا» [illegible] «[illegible]» ومن أمثاله [illegible] على [illegible] «كل الصيد في جوف الفرا» [illegible] (يقصد [illegible]) «الآن حمي الوطيس» [illegible] «لا يلدغ

(١) [illegible] ج ٣ ص ١٢٨

(٢) الأمالي ج ٢ ص ٩٤

(٣) [illegible] ص ١٢٥

المؤمن من حجز موضع[1] وسم [illegible] « نية المرء خير من عمله » « اليد العليا خير من اليد السفلى » « مطل الغني ظلم » « يد الله مع الجماعة » « [illegible] الجار قبل الدار والرفيق قبل الطريق » « سيد القوم خادمهم » « الوحدة خير من جليس السوء » « نعم صومعة الرجل بيته » « الأعمال بخواتيمها[2] » .

وقال أبو بكر : « إن البلاء موكل بالمنطق » وقال ابن مسعود [illegible] « أولى [illegible] بطول سجن من لسان » وقال أنس بن مالك [illegible] كانت [illegible] من [illegible] « القول ينفد ما لا تنفد الإبر[3] » .

خاصة الرسائل .

[illegible] بغيتنا الآن هو أن نعرف النهج الإنشائي [illegible] الأسلوب [illegible]

نماذجها

١ — كتب عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري في القضاء : « بسم الله الرحمن الرحيم [illegible] أما بعد فإن القضاء فريضة محكمة ، وسنة متبعة ، فافهم إذا أدلي إليك ، فإنه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له ، آس بين الناس في مجلسك ووجهك ، حتى لا يطمع شريف في حيفك ، ولا يخاف ضعيف من جورك ، والبينة على من ادعى واليمين على من أنكر ، والصلح جائز بين المسلمين إلا صلحا حرم حلالا أو أحل حراما ، ولا يمنعك قضاء قضيته بالأمس راجعت فيه نفسك ، وهديت فيه لرشدك أن ترجع عنه ، فإن الحق قديم ، ومراجعة الحق خير من التمادي في الباطل ،

(١) العقد الفريد ج ٣ — ٤٠

(٢) المستطرف في كل فن مستظرف ج ١ — ٢٨

(٣) العقد الفريد ج ٣ — ٨١

[illegible] أحبها إلى الله ، وأشبهها بالحق فيما ترى ، واجعل للمدعي [illegible] أحضر بينته أخذت له بحقه ، وإلا وجهت عليه القضاء [illegible] يكفه الله ما بينه وبين الناس ، ومن تزين للناس [illegible] والسلام عليك[1] » .

[illegible]

كالمسبوق ، ولا الحق [illegible]

[illegible] بها الدليل ، ولا أحمل [illegible]

[illegible]

تلك نماذج سريعة خاطفة للأثر [illegible] فى عهد [illegible] النبوة [illegible] فى تلك العصر [illegible] الخصائص

« المميزات والخصائص الفنية للنثر فى عهد النبوة »

[illegible] أن ثمة مقاييس أساسية لا بد من الاعتماد عليها فى أحكامنا على الأعمال [illegible] الجمال الأدبى ، تلك المقاييس هى : العاطفة — الفكرة — الصورة [illegible] إذ أن هذه العناصر الثلاثة هى التى تتألف من [illegible] كل عمل أدبى [illegible]

أن العاطفة هى الدافع المؤثر الذى يوحى بالعمل الأدبى ، والفكرة : هى [illegible]

[illegible]

[illegible] كان من استحجار الفتن [illegible] بسبب الخلافة ، وما تطلبه ذلك من الدعاية [illegible]

[illegible] إليه الضرورة من إرشاد الناس ، وتعليمهم أمور دينهم [illegible]

[illegible]

موضوعيهما [illegible] شكلية في تعبير بالفظ و[illegible] في [illegible] .
فلم [illegible] أن ثمة فرقا واضحا من هذه الناحية . [illegible] طائفة من الألفاظ[1]
الأعجمية و[illegible] [illegible] القرآن [illegible]
في أساليب الخطباء والكتاب الإسلاميين بعد ذلك ، على أن هذه الألفاظ
لم تكن تستحدث في الإسلام [illegible]
ألفاظ العجم فصارت عربية . ثم نزل [illegible] وقد اختلطت هذه الحروف بكلام
العرب[2] » .

إذن ففي هذه الحدود [illegible] أن نميز بين خصائص النثر الفني فيما بين
[illegible] [illegible] [illegible]
إلى حياة [illegible] [illegible] أثر [illegible]
استهدف لها [illegible] [illegible] الإسلامية
والذي [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible]
[illegible] [illegible]
الحياة العربية تتجه نحو وضع جديد [illegible]
بأبهة الملك ، وينهلون من [illegible]
جداول [illegible] [illegible]
وثيقا بالأعاجم وغيرهم ، حينئذ فقط [illegible]
اللغة العربية نثرها وشعرها وموضوعاتها وأساليبها على السواء .

وقد [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible]
أثرها في تطوير الأدب العربي منذ ذلك الحين مادام لهذه الصلة [illegible] أثر شديد
في [illegible] التطور [illegible]

(١) [illegible]
(٢) الإتقان ج ١ — ١٠٩ .

فيه ، لابد أن يكون فيه خفة ونية متصلة في كل شيء ، وهذه العقلية لم تتح
إلا بعد أن هدأت حركة الفتح ، واختلط الشعب العربي بغيره من الشعوب
الأخرى بالمصاهرة و[illegible] والمجاورة ، و[illegible] [illegible] ، و[illegible] هؤلاء
منه الفرس ، ونقلت الآثار الهندية واليونانية والفارسية من علوم وفنون وآداب
وفلسفات إلى اللغة العربية ، ونشأ العرب نشأة جديدة [illegible] [illegible] ،
وحلقت [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] ، و[illegible] [illegible] [illegible] ، و[illegible] [illegible] ، و[illegible] [illegible] ، و[illegible]
كل هذا في [illegible] ، وذلك كان من سببا أن [illegible] [illegible] [illegible] شيء
[illegible] في [illegible] [illegible] الأول ، وشيء [illegible] في [illegible] [illegible] و[illegible] [illegible]
لم يكن من [illegible] أن [illegible] [illegible] آخر [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] وشيء
آخر في صدر الإسلام من [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ، وكان [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible] ، و[illegible] من [illegible] [illegible] ، [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] في [illegible] ، و[illegible] [illegible] [illegible] في [illegible] ، و[illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] ، و[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] ، و[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] :

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ... شوق فلم [illegible] دمعي من [illegible]

أبى الله إلا أن نفرق الدهر بيننا ... [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

لقد كان ما بيني زمانا وبينها ... كما كان بين [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible] كنا نتعاشر عليه ، ويجري في [illegible] [illegible] في شعره هذا ،
و[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] من [illegible] [illegible] من [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ،
و[illegible] [illegible] [illegible] من [illegible] و[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] و[illegible] و[illegible] [illegible]
من [illegible] [illegible] و[illegible] [illegible] ، و[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ،

[illegible] في [illegible]
[illegible]
الصنعة الكلامية ، الغرض منها الوصول إلى معنى [illegible]
[illegible]
[illegible] شكلية [illegible]
[illegible] ذلك [illegible] للنثر [illegible]
[illegible]
تلك الأغراض [illegible] الخطب والرسائل عند منشئ
[illegible]
[illegible]
[illegible]
أو تخالف [illegible] ومن النثر [illegible]

الألفاظ .

لا نستطيع أن نقول عن [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible]
[illegible]
[illegible]
ذلك [illegible]

[illegible] [1] »

[illegible] أن يأمر بالمعروف ، وينهى عن المنكر فليوطن قبل ذلك على الأذى ، وليوقن [illegible] من الله عز وجل [illegible] الثواب من الله عز وجل لا يجد مس الأذى [2] »

فبإمقارنة يسيرة بين هاتين الوصيتين [illegible] من حيث سهولة الألفاظ وجزالته [illegible] في الخيال أو مبالغة في التصوير [illegible] في الإسلام [illegible] بما شحنت به الأساليب [illegible]

الأغراض والمعاني (?)

وإذا كان المنهج الأسلوبي للنثر لم يكد يختلف كثيراً [illegible] فما لا شك فيه أن الأغراض [illegible] في صدر الإسلام [illegible] ووسائله [illegible] قد اختلفت اختلافاً جوهرياً عما كانت عليه في الجاهلية ، ذلك لأن مطالب [illegible] الإسلامية [illegible] الحياة الجاهلية [illegible] عن مطالب

(١) [illegible]
(٢) [illegible]

[illegible] في [illegible] [illegible] الجديدة [illegible]

[illegible] في عقله [illegible] من عظمة

[illegible] في [illegible] وإحساس [illegible]

فالرجل في الإسلام يدعو ويعلم [illegible] [illegible]

وكل أولئك موضوعات وأغراض جديدة لم [illegible] من قبل . وقد

استدعى [illegible] هذه الموضوعات معانى [illegible] [illegible]

[illegible] وقد كان [illegible] استمد منه [illegible]

[illegible] من [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] القرآن معجزة من أغراضه الكريمة

وهذا هو [illegible] الواضح بين شعر الجاهلية وصدر الإسلام .

العواطف

[illegible] العواطف التي [illegible] في عصر [illegible] فقد

ظلت على تفاوتها وصدقها [illegible] [illegible]

التي تتج فيها هذا الشعر [illegible] [illegible]

لأهو [illegible] [illegible]

[illegible] ذلك المدح الكاذب [illegible]

[illegible] [illegible] الذي دعا إليه الحرمان من [illegible]

[illegible] [illegible]

[illegible] [illegible]

[illegible] هذه الرسائل التي كانت تدفعها

عواطف [illegible] [illegible]

الأسلوب عامة :

والأسلوب [illegible] في عمومه

من [illegible] التي [illegible] و [illegible] [illegible] [illegible] ... [illegible] ... [illegible] ... [illegible] ... [illegible] ... [illegible] من [illegible]ومات البلاغية ما يسمو بها [illegible] ... [illegible] مثلا خطب على بن أبى طالب [illegible] ... [illegible] فنونا مختلفة من الفنون البلاغية المختلفة التي لم [illegible] ... [illegible] ... [illegible] لا نعرفها ولا [illegible].

[illegible] الخطب الكثيرة ، والرسائل المتعددة [illegible] ... [illegible] ... [illegible] ... [illegible] ... [illegible] ...

(١) [illegible]

[illegible] أحد [illegible] شيء [illegible]

[illegible] وقد أحصى [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

نحن فتحفظ في هذه المسألة كل التحفظ ؛ لأن [illegible]

[illegible] كانت [illegible]

[illegible] اللاعة إلى الرمي يحتجون [illegible]

[illegible] فإن تهمة الوضع جاءت لتؤيد خصوم [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] في الأداء [illegible]

[illegible]

[illegible] قد وجدت في كلام على كل وجدت في كلام [illegible]

وإن الذي [illegible] آثارهم [illegible]

ولكنهم كانوا لا يبالون في [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] في عصر صدر الإسلام لم يكن صنعة فيه حرفة تحتاج [illegible] حتى [illegible] الأعصر كما كان أمره بعد [illegible] كان [illegible] منه من ذلك [illegible] من التكلف بعيداً عن القصد والتعمل ، قال أبو هلال العسكري في [illegible] كلامه عن [illegible] أنواع [illegible] من [illegible] ولا رواية عنده أن [illegible] لما أراد أن يفخم أمر المحدثين [illegible] من [illegible] من [illegible] كان في غاية الحسن [illegible] [1] " وفي كلام أبي هلال [illegible] فصاحة الكلام ، إذا [illegible] من [illegible] وسلمت من التكلف ، ليست [illegible] على أن القدماء قد عرفوها وشاعت في كلامهم ، ولكنها عندهم [illegible] فطرة ، وعند المحدثين [illegible] وتعمل ، وهي لا تحسن ولا تجمل إلا إذا [illegible] مع [illegible] الفطرة [illegible] وفي هذا أيضاً دلالة على أن النثر عند [illegible] الإسلام [illegible] كل شيء آخر أتيح له من [illegible] الاستعداد والتروي مالم يتح لغة الحديث العادية .

[illegible] في أسلوب [illegible] في عهد [illegible]

السجع

لقد ناقشنا الرأي في السجع في [illegible] [illegible] كلام [illegible] وهو مقبول [illegible] في الكلام عن غير قصد أو افتعال ، والذي نريد أن نقرره الآن أننا في عهد [illegible] ولم [illegible] من [illegible] في عهد [illegible] من [illegible] السجع صفة ملازمة لكلامه كما يتبين ذلك من تلك الشواهد الكثيرة [illegible] أوردها سابقاً ، ذلك لأنهم كانوا لا يتكلفون ، ولكن ليس معنى هذا أنهم كانوا لا [illegible] لأن [illegible] عنه [illegible] على ذلك [illegible] الشيء الذي لا [illegible] فيه أن السجع [illegible] فاصلتين أو أكثر في قافية واحدة ، شيء

(١) [illegible] ص ٤ [illegible]

ودعم وأصيل في بلاغة العربية ، فنجده في القرآن الكريم ، وفي بعض أحاديث
الرسول وخطبه وخطب [illegible] وقد [illegible] أبو هلال
العسكري [illegible] السجع [illegible] النبي صلى الله عليه وسلم ، [illegible] في بعض
كلامه ، [illegible] في حديث [illegible] سجع [illegible]
[illegible] هذا [illegible] السجع [illegible] في القرآن الكريم
وفي كلام الرسول [illegible]
[illegible]
[illegible] هو [illegible] السجع [illegible]
[illegible] القرآن الكريم وكلام الرسول [illegible] على
[illegible] السجع ، [illegible]
هو ما جعل الباقلاني يقول :

« ولو كان القرآن سجعاً لكان غير خارج عن أساليب كلامهم ، [illegible]
[illegible] سجع [illegible]
[illegible] بالسجع مما كان يألفه الكهان من العرب ، [illegible] من
[illegible] من نفي الشعر لأن الكهانة تنافي النبوات [illegible]
[illegible] [1] » . وكأنما يرى الباقلاني أن إعجاز القرآن إنما يتركز في بلاغته
وفصاحته [illegible] السجع [illegible]
[illegible] الناحية البلاغية . وليس عنصراً في المعنى ولا في
[illegible] مظهراً من مظاهر الفصاحة لأن طائفة من [illegible]
كانوا يستخدمونه في كلامهم [illegible] وكانت [illegible]
كذلك التشبيه والاستعارة و [illegible] من [illegible]
البلاغة لأن [illegible] قد استخدموها في كلامهم من قبل ، ولو كان الأمر كذلك ،
لأصبح القرآن [illegible] من الكلام [illegible] ، ولكن [illegible] أن
القرآن هو [illegible] . وأن سر [illegible] قد جاء من أنه من مألوف من كلامهم

---

(١) [illegible]

[illegible] يتجه هذا الاتجاه [illegible]

[illegible] وليس كذلك ما [illegible] سجع من [illegible]

[illegible] (١) [illegible]

[illegible]

[illegible] الأول سجع [illegible]

[illegible] كلامهم [illegible]

[illegible] ابن المقفع [illegible] (٢) [illegible]

[illegible] من أمثال علي بن أبي [illegible]

وفي رأيي أن ابن المقفع [illegible]

[illegible] أن مصدر هذا الأسلوب القرآن [illegible] في مثل : سورة النجم ، ومحمد ،

[illegible] الطوال والقصار إن لم يكن سجعاً ؟

[illegible]

[illegible]

[illegible]

(٢) [illegible] ١٢٨ [illegible] ١٦٦

اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع ، ومن قلب لا يخشع ، ودعاء لا يسمع ، ونفس لا تشبع ، وأعوذ بك من [illegible] ، ومن [illegible] بئست البطانة ، ومن الكسل والعجز ، ومن [illegible] »[1]

وقوله صلى الله عليه وسلم [illegible] [2] وقول علي ابن أبي طالب من خطبة له : « دار بالبلاء محفوفة ، وبالغدر معروفة ، لا تدوم أحوالها ، ولا يسلم نزالها ، أحوال مختلفة ، وتارات متصرفة ، العيش فيها مذموم ، والأمان فيها معدوم ، وإنما أهلها فيها أغراض مستهدفة [illegible] بحمامها ، واعلموا عباد الله أنكم وما أنتم فيه من هذه الدنيا على سبيل من قد مضى [illegible] عافية[3] الخ »

[illegible] السجع باب من أبواب البلاغة حيث [illegible] البلاغة [illegible] [4] [illegible] السجع [illegible]

[illegible]

(١) الإحياء — الغزالي ج ١ ص ٣٣
(٢) [illegible]
(٣) نهج البلاغة ج ١ ص [illegible]
(٤) [illegible] ج ١ ص ١٣٩

وربما كان يجيء في كلامهم [illegible] – عفويه مقبولة حيث تدعو إليها [illegible] ولعل مما يدل على شيوع السجع [illegible] في [illegible] أو [illegible] وقد كانت [illegible] تتكلم عند [illegible] [illegible] في تلك [illegible] كثيرة في [illegible] أحد[1] »

[illegible] تتوازن ألوان متقاربة من الأساليب الفنية وحدث [illegible] في [illegible] [illegible] من [illegible] الطبيعة الأخرى ، لأن الناس إذ ذاك كانوا أقرب إلى [illegible] عصرى [illegible] على الجمال وموعا طبيعيا من دون تكلف أو افتعال ، ولأن [illegible] على عهدهم [illegible] فليس فيها مجال لترف النفس الذى يستدعى ترف اللغة والأداء كتلك الأغراض التى شاعت فى القرون [illegible] من [illegible] [illegible] من الأغراض التى كونت جانبا مهما من موضوعات النثر الفنى فى القرنين الثالث [illegible] من [illegible] يدعو إلى رسالته ، ويكتب إلى أعدائه فى معاهدة أو [illegible] أو من خليفة يكتب إلى قواده أو عماله يأمرهم وينهاهم ويوصيهم ، أو من رجل دين يقف بين الناس [illegible] لا [illegible] من هؤلاء [illegible] لأنهم [illegible] عن أقرب طريق [illegible] ولا [illegible] كلامهم ، إلا [illegible] ويسمح به الطبع

الإيجاز والإطناب فى نثر عصر النبوة

تبين لنا مما تقدم أن النثر فى عصر النبوة كان [illegible] هو من [illegible] كان يخضع فى شتى مظاهره [illegible] لمقتضيات [illegible] . وعلى هذا الأساس [illegible] الإيجاز والإطناب

(١) البيان والتبيين ج ١ — ٢٨٣ .

وبهذا [illegible] يكون الإيجاز صفة ملازمة، كما يكون الإطناب كذلك [illegible]
كان الكاتب أو الخطيب يتوخى الإيجاز [illegible] كان [illegible] يستدعي ذلك، ويطنب إذا
كان المقام مما يوجب الإطناب، ولذلك [illegible] مثلا [illegible] رسول الله صلى الله عليه
وسلم [illegible] الإيجاز لأنه [illegible] الإسلام أو شرطا
[illegible]

[illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] الأحوال فلا يطيل
في كلامه [illegible] الذي يعول على الإيجاز
[illegible]

[illegible]
والإيجاز [illegible]
[illegible]
الكاتب عند كلامه على الإيجاز: «... ليس الإيجاز محمودا في كل موضع
ولا مختارا في كل كتاب [illegible] ولو كان الإيجاز محمودا في كل

(١) [illegible]
(٢) [illegible]

[illegible] الأحوال [illegible] مقام ما يناسبه قال [illegible] في جميع الكلام وكل [illegible] في موضعه [illegible] ذلك عن جهته [illegible] أزال التدبير في ذلك عن جهته [illegible] كان الإيجاز أبلغ كان الإكثار عيا، ومتى [illegible] (١)

وقال [illegible] المعجم، وقد يقع الإيجاز [illegible] (٢)

[illegible] الأحوال [illegible] وعلى هذا ينبغي أن نفهم قول الجاحظ: [illegible] والتحبير [illegible] من التزيد والمباهاة، واتباع الهوى [illegible] الفضول في البلاغة؛ لأن ذلك يدعو [illegible] (٣) [illegible] كلام [illegible] وأن الأسلوب الموجز

(١) [illegible]
(٢) [illegible]
(٣) [illegible]

المطبوع الألفاظ هو الذى عرف به نثر القرن الأول ، أو أن الإيجاز من طبع العرب ، وطبيعة فى لغتهم كما زعم[1] بعض النقاد المحدثين

والخلاصة :

أن [illegible] فى عهد [illegible] لم يكد يختلف اختلافاً جوهرياً عن النثر الجاهلى من الناحية الشكلية التى تتصل بوصف الألفاظ والأساليب ، ذلك لأن شكل [illegible] فى صحراء ، فكل [illegible] فيها من جبال ورمال وسهول ووديان ، [illegible] مشق الدعوة الإسلامية مظاهر جديدة ، ومعنى هذا أن منازع الخيال كانت ، [illegible] بين ذينك العهدين

أما [illegible] فلا شك قد تغيرت تغيراً محسوساً بظهور الإسلام ، لأن الإسلام [illegible] والذود عن [illegible] الموضوعات الجديدة التى شغل [illegible] فى صدر الإسلام [illegible]

---

(١) [illegible] أمراء البيان ج ١ ص ٩٥ ، تطور الأساليب النثرية ص ٩١ ، تاريخ الأدب العربى — الزيات — ص ١٢٥

الفصل الثالث

النثر الفني في عصر بني أمية

من سنة ٤١ هـ إلى سنة ١٣٢ هـ

تمهيد

[illegible] في [illegible] عصر [illegible] و[illegible] في تلك [illegible] وثلاثين ومائة . [illegible] الأدب [illegible] عصر بني [illegible] [illegible] الإسلام [illegible] [illegible] الأدب [illegible] الأدب في هذا العصر ، والذي نشاهده بوجه عام أن اللغة العربية في عهد بني أمية قد أصابها شيء من [illegible] . ولا يعنينا هنا أن نستقصي مظاهر هذا التطور ، وأن نفصل الكلام عنها إلا بالقدر [illegible] على [illegible]

وفي الحقيقة أنه قد بدأ طور جديد [illegible] الإسلامية [illegible] بالخلافة سنة إحدى و[illegible]

[illegible] كانت الدولة خلافة دينية تقوم [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] عليها ، فوجدت طائفة من الأحزاب السياسية التي كانت [illegible] في مصر والشام [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] هذه المنازعات ، فكان لكل [illegible]

[illegible]

[illegible]

ويأسر قلوبهم ، ويثير عواطفهم نحو ذلك الحرب

[illegible]

[illegible] والقديمة .

[illegible]

[illegible]

العلوم والآداب الفارسية .

[illegible]

[illegible]

(١) فجر الإسلام — أحمد أمين — ج١ ص ٨٤

[illegible] (١) وكان للفرس إذ ذاك [illegible]
[illegible]
وآشور ، وما إليها من دول [illegible] (٢)

[illegible]
[illegible]
تداولت عليه ، فقد تداول عليه [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] (٣)

[illegible]
وكانت [illegible] في مصر عند الفتح العربي ، هي الآداب اليونانية
في عصرها [illegible] هي الأساس الذي
قامت عليه الآداب الرومانية (٤)

[illegible]
وحضارات وديانات مختلفة ، وكان لا بد — نتيجة لهذا الفتح — [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

(١) [illegible]
(٢) [illegible]
(٣) [illegible]
(٤) [illegible] ١٩٥
(٥) [illegible]

والعلوم والآداب والمذاهب الإسلامية المختلفة . وهكذا كان [illegible] العصور الأولى التي
تتحصر تلك النهضة [illegible] في [illegible] وآدابه [illegible] في عصر العباسي ،
ولا سيما بعد أن نشطت حركات الترجمة ، [illegible] في عصر [illegible]

الحركة العلمية في عصر بني أمية [1]

كان هناك حركات علمية مختلفة في عهد بني أمية ، وكان [illegible] العلوم الشرعية
المستمدة من الكتاب والسنة ، كالتفسير والحديث والقراءات والفقه ،
[illegible] العلوم اللسانية [illegible] كالنحو
والشكل والإعجام ، و[illegible] ، كالكلام [illegible] ، والعلوم الأخرى
كالتاريخ والجغرافيا .

ونحن [illegible] نقول حركات علمية ، لا نقصد بذلك الحركات العلمية بمعناها الواسع ،
[illegible]
[illegible] واشتد
تأثر العرب بغيرهم في ميدان التدوين والتأليف والإنتاج ، و[illegible] نقصد أن العرب
في تلك الحقبة من الزمان قد مارسوا التعليم في هذه المجالات المختلفة من العلوم ،
و[illegible] يؤثر عنهم في شيء منها مدونات ذات خطر

وقد كانت هذه الحركات العلمية [illegible] في عصر [illegible] من
مظاهر التطور الثقافي [illegible] في عهد بني أمية ،
ولكنها كانت [illegible] في [illegible] عصور
في صدر الإسلام منذ عهد الرسول وخلفائه ، [illegible] تنمو وتتسع مع
[illegible] تقتضي بذلك [illegible]

(1) [illegible] في [illegible] الإسلام [illegible]
[illegible] الحركات العلمية في عصر صدر الإسلام وبني أمية ، و[illegible]
وعلمائها وأشهر القائمين بها ، فارجع إليه إن شئت [illegible]

وعلى الرغم من أن حركة التدوين (1) قد بدأت — بلا شك — [illegible] العصر الأموي — [illegible] شيء من تلك العلوم في ذلك العصر أو على الأقل إن كان قد دون شيء [illegible]

فالتفسير :

لم [illegible] شيء منه من عهد بني أمية [illegible] إلا ما روي عن ابن عباس المتوفى سنة ٦٨ هـ ، وتفسير ابن عباس هذا لم يصل إلينا مدونا ، وإنما روايات نقلها محمد [illegible] المتوفى (2) سنة [illegible] هـ

والحديث :

وكذلك الحديث ، فليس [illegible] في العصر الأموي ، ولا نعرف [illegible] في الحديث [illegible] إلا ما روي [illegible] أبي بكر محمد بن عمرو بن حزم [illegible] في أن يدون الحديث [illegible] الأمصار (3) ، ولكن هذا الكتاب لم يصل [illegible] فيما دُوِّن بعد ذلك من حديث إبان العصر [illegible]

الفقه :

وكذلك الفقه ، فإن أقدم مدونة [illegible] فيه ، هي موطأ مالك التي جمع فيها حديثاً مرتباً على أبواب الفقه ، وقد [illegible]

---

(1) [illegible]

[illegible] ١٣٢ [illegible] كثيرة مختلفة ... دلالة ... على أنه قد كان هناك تدوين في عصر [illegible]

(2) تاريخ الأدب العربي [illegible] ٢٥٨

[illegible]

(3) [illegible] ٢٥٩

في واحد [illegible] عن عصر [illegible] مؤلفات [illegible] شأن ، حتى [illegible] لم [illegible] عهد الأموي [illegible] أن [illegible] أو [illegible] في [illegible] ، [illegible] في ذلك [illegible]

[illegible] وقت كانوا قريبي عهد بالبداوة ، ولم تكن فكرة [illegible] والتأليف والتبويب قد وضحت في أذهانهم ، أو نضجت في [illegible] شخصي في [illegible] أن [illegible] اتصالا وثيقا بأهل البلاد التي [illegible] ، [illegible] في التأليف والتدوين اتجهت أذهان العرب إلى فكرة الكتاب ، و[illegible] نشطت حركة التأليف النشطة الواسعة .

[illegible] الأموي [illegible] الصحيحة التي [illegible] في العصر [illegible]

[illegible] – نشاط [illegible] في [illegible]

[illegible] في [illegible]

[illegible]

[illegible] الأموي [illegible] على [illegible]

[illegible]

[illegible]

بعد اتساع الفتوح ، وا[illegible] ، واستقر[illegible] في [illegible]

كان [illegible] في عيشة خشنة جافية على رمال الصحراء ، وتحت هذه الخيام

[illegible] عيشة [illegible] في [illegible]

[illegible]

[illegible] في الأحياء والسياسة والاقتصاد [illegible]

[illegible] روى أن [illegible]

[illegible] إلى ما عرب من عقوق قلت : خرجت من أهلي في عقب صفر ، وقد مضى [illegible] بيدي فأدخلني [illegible]

[illegible] الناس حوله ، فقلت وأنا مائل [illegible]

[illegible] من من أمه هل ألت أن أدخلت الرحال علينا [illegible]

[illegible]

[illegible] وحتى [illegible] أن [illegible] القوم [illegible] ولاحة [illegible] من الحجر [illegible] (١)

[illegible] عبد الملك [illegible] وأعطه [illegible]

[illegible] الحياة من حوله [illegible] الذى أصاب النثر [illegible]

[illegible] الفنون النثرية فى عصر بنى أمية لنتبين إلى أى حد قد [illegible]

الخطابة فى عصر بنى أمية

[illegible] فى عهد بنى أمية [illegible] والأسجاع [illegible] فى [illegible] عصر [illegible]

---

(١) [illegible] ١٩٢٨ [illegible]

(٢) [illegible] ١٩٢٨ [illegible]

وذلك لتوفر دواعيها ، و[illegible] وأسبابها [illegible] الدواعي وهذه الأسباب قد تضاعفت في عهد بني أمية حتى أصبح اللسان هو الوسيلة الأولى للتعبير عن مطالب الحياة وحاجاتها في مناحيها المختلفة متشعبة ، [illegible] الأموية [illegible] في ثلاثة [illegible] سياسية ، وخطابة [illegible] [illegible] اجتماعية [illegible] ولكل نوع من هذه الأنواع [illegible] [illegible] على كل نوع من هذه الأنواع

أ — الخطابة السياسية

[illegible] حتى لا يتزعزع من أنفسهم ، وأولئك هم [illegible] أصحاب حق [illegible] ومن هؤلاء [illegible] ثم نجد بعد ذلك كله الخوارج الذين خرجوا على هؤلاء [illegible] العداء ، وحاربوهم واشتدت شوكتهم عليهم حتى [illegible] (1)

[illegible] وفي ظل هذا التعقد [illegible] الخطابة [illegible] في [illegible] الأمويين [illegible] [illegible]

(1) [illegible] الإسلام ص ٢٥٢

[illegible] من هذا [illegible] [illegible] ، مما حمل خلفاء بني أمية [illegible] [illegible] الحجاج [illegible] من خطباء الأمويين [illegible]

ومن أشهر خطباء الأحزاب السياسية على اختلافها في عصر بني أمية الحجاج [illegible] [illegible] فهؤلاء من [illegible] الأموي [illegible] عبد الله بن [illegible] ومن [illegible] بني العباس . وقطري بن [illegible] وعمران بن حطان ، وأولئك من حزب الخوارج ، [illegible]

ب — الخطابة الدينية

[illegible] والتعبير من الدنيا والتذكير بالآخرة ، بعيدة عن [illegible] ولعل من أهم الأسباب التي دعت إلى قوة الخطابة الدينية إلى جانب الوعظ والإرشاد [illegible] [illegible] وقد استدعى ذلك [illegible] [illegible] كبيرا في ميدان الخطابة الدينية [illegible] الموالي الذين كانوا حديثي [illegible] القرآن الكريم [illegible] الوعظ والإرشاد على الأئمة والولاة كما كان [illegible]

[illegible] ٢٣٢

ولعل من أشهر الخطباء [illegible] في عصر بني أمية : الحسن البصري ، وواصل بن عطاء ، والفضل الرقاشي .

حـ — الخطابة الاجتماعية :

لقد أدى انتقال حاضرة الخلافة الإسلامية في عهد بني أمية من المدينة إلى دمشق ، واستقرار دعائم الملك ، واتساع رقعة الممالك الإسلامية ، إلى ظهور نوع [illegible] تلك هي [illegible] (١) ، فقد كانت وفود الناس تخرج من أطراف البلاد إلى دمشق التي بها مقر الخلافة والسلطان [illegible] فتكون لهم بين أيدي هؤلاء وأولئك [illegible] واستصلاح [illegible] ولما كانت هذه الخطب تدر أحيانا على أصحابها شيئاً من [illegible] كانوا يتبارون في إجادتها [illegible] حتى [illegible] الخصم [illegible] والتأثر بطريقتهم وأساليبهم (٢) .

ولعل من أشهر من [illegible] الأحنف بن قيس .

وقد [illegible] من تلك الخطب [illegible] الأموية على اختلاف [illegible] وسوف نذكر ما [illegible] من ذلك [illegible] الخصائص الأسلوبية للخطابة الأموية .

الخصائص الأدبية لأسلوب الخطابة الأموية :

[illegible] خطباء الأمويين [illegible] — [illegible]

(١) الفن ومذاهبه في النثر العربي — شوقي ضيف ص ٤٣ .
(٢) الأدب العربي [illegible] في عصر [illegible] ص ٢٣٥ [illegible]

[illegible] ٨ [illegible]

فصاحتهم [illegible] وبلاغتهم [illegible]، فكانوا يتحرون العطف، ويجودون
عباراتهم، ويتوخون [illegible] في اختيار [illegible] والتنقيح [illegible] حتى يكون لها
[illegible] التي يريدون، كما [illegible] أقرب من [illegible]
[illegible] وضوح [illegible] ولكنهم [illegible] كانوا لا يسرفون
في هذه [illegible] في القرن [illegible]
مثلاً، بل كان [illegible] أسر ومتانة السبك ما يحفظ عليهم
كثيراً من [illegible]

وعلى أن هذه [illegible]
[illegible] في جميع مقوماتها
[illegible] ووضوح [illegible]
[illegible] طبيعي أن نصفه بأنه مرحل
في [illegible]

هل اختلاف موضوع الخطبة يستلزم اختلافاً في صبغتها الإنشائية ؟

تلك الأحكام النقدية [illegible] تنطبق على الخطابة [illegible]
[illegible] لا فرق في ذلك بين خطبة سياسية [illegible] والاجتماعية فكلها
يتسم في عمومه [illegible] وقوة المعنى، ووضوح الفكرة، ومتانة السبك،
وروعة الأداء، وتوفر ألوان من القيم الفنية المتصورة، [illegible]
تبعاً لاختلاف الموضوع الذي تعالجه [illegible] اختلاف موضوع يستتبع اختلافاً في النهج
وطريقة الأداء، فالموضوع العنيف يستلزم لفظاً عنيفاً [illegible] وفكرة [illegible]
أيضاً، وبناء على هذا [illegible] منهج الخطبة السياسية يختلف عن منهج الخطبة
الدينية والاجتماعية تبعاً لاختلاف الموضوع بينها، وإن كانت كلها تشترك
في الأحكام النقدية السابقة.

نموذج الخطابة السياسية: خطبة زياد[1]:

[illegible] موضوع [illegible] الحال [illegible] الأمر [illegible] [illegible] دون مداناة أو استكراه [illegible] أما المعاني التي دارت [illegible]

وخطبة الحجاج

وليس الحجاج بن يوسف بأقل [illegible] الخطابي [illegible] من [illegible] لم تكن [illegible]

(1) هذه الخطبة مشهورة ومعروفة [illegible] البيان والتبيين ج ٢ ص ٥٦

(٢) [illegible] ج ٢ ص [illegible]

(٣) [illegible] والتبيين ج ٢ ص [illegible]

[illegible] وقدرة على الكلام ، يقول مالك [illegible] [illegible] [illegible] ، وفى كلام مالك هذا دلالة قوية على [illegible] حداً ، وسنتحدث عن واحدة مشهورة منها تلك هى خطبته [illegible]

[illegible]

[illegible] اللاذ فى عهد بنى أمية [illegible] المسيح الذى ظلت [illegible] كل هذا وما إليه [illegible] الثورات [illegible] لابد أن يكون لكلامه هذه القوة وهذا [illegible] [illegible]

(١) [illegible]

(٢) [illegible]

محمله ، وأحفوه بسطه ، وأحرته عقله ، فأنت ترى أن كل معنى في هذه [illegible] في [illegible] حتى كأنه [illegible] حتى [illegible] معنى عن هذا [illegible] .

[illegible]

[illegible] كان [illegible] عرف تسمية المنف والصرامة [illegible] من حيث [illegible] موضوعه [illegible] في هذه [illegible] في حقيقة [illegible] وصف [illegible] عن [illegible] .

[illegible] في [illegible] أن نقرره [illegible] .

عود إلى الخصائص الأسلوبية للخطابة الأموية عامة

[illegible] دراستنا لبقية هذه الخصائص .

السجع

[illegible] في أحد [illegible] في ذلك على [illegible] ويكون [illegible] تكلف [illegible] فنحن [illegible] عملا مقبولا ، وذلك [illegible] من [illegible] .

[illegible] في أحسن [illegible] وأخرجه عنه » [illegible] هذه الأ[illegible] سجع ، في الأ[illegible] التي [illegible] معنى بحيث لا تؤدى أداء كاملا [illegible] الحركة ، واطمس جمال المعنى [illegible] بالسجع ، لكن ظاهرة ملازمة لأسلوب خطابة الأموية ، [illegible] ملازمة لأسلوب [illegible] في عهد النبوة ، [illegible] كان [illegible] في ذلك [illegible] من [illegible] يتركون [illegible] الألفاظ [illegible] في كلامهم [illegible] من قبل [illegible] لا من قبل [illegible]

الاقتباس

ويكثر في خطبة الأموية [illegible] واضح . ففي الخطابة الدينية [illegible] الاقتباس [illegible] قداسة . وفي الخطبة السياسية يشيع [illegible] ، وذلك [illegible]

[illegible] اللد [illegible]

ليس راعي [illegible] على [illegible]

قد لفها الليل بعصلبي [illegible]

[illegible]

الصور البيانية ومحسنات اللفظ :

ونجد أحيانا في الخطبة الأموية [illegible] من صور [illegible] ومحسنات [illegible] التي [illegible] من [illegible] الحسية ومشاهدها ، ومن ذلك تلك [illegible] في قول الحجاج [illegible] إني لأرى رؤوسا قد [illegible] [illegible] كل [illegible] ثم [illegible]

عيدانها فوجدى [illegible] وجهى [illegible] » ومن [illegible]
[illegible]
[illegible]
الأمور العظام [illegible] ولا [illegible] الكبير ، كأنكم لم تقرأوا
كتاب الله ، [illegible]
الأمر [illegible] الذى لا [illegible] »

الإيجاز والإطناب :

[illegible]

[illegible]
المؤرخون هذا العهد بأنه « عهد الخطابة »

٣ — المحاورات :

[illegible]
[illegible] الكلام
[illegible]

و[illegible] من أنواع [illegible] المشهور [illegible] في بعض الأحيان على [illegible] من القيم الفنية الأدبية ، ولنسق الآن بعض أمثلة من هذا [illegible] في هذا العصر ، وأخذ اتجاهات وألوان [illegible] من المهارة [illegible]

(١) [illegible]

(ب) [illegible] دخل على عبد الملك [illegible]

وكان [illegible]

---

(١) [illegible]

(٢) [illegible]

جوّال في الفتنة مرة مع أبي تراب، ومرة مع ابن الأشعث، وقد [illegible]

الصمغة، ولأعصبنك عصب سلمة، [illegible]

الأمير عبد الله [illegible]

[illegible]

٣ — الكتابة الفنية في عهد بني أمية :

عرضنا في الفصل السابق [illegible]

وخلفائه، [illegible]

[illegible]

[illegible] أن [illegible] وأربعون [illegible] على قيام دولة بني أمية . [illegible] بعد أن [illegible] الأمور [illegible] ثم [illegible] حينئذ [illegible] هذا [illegible] [illegible] وكان هذا [illegible] في خلافة [illegible] بن عبد الملك [illegible] في [illegible] الأعشى [illegible] على [illegible] في عهد بني أمية [illegible] في الدولة الأموية [illegible] على [illegible] بن عبد الملك [illegible] القراطيس [illegible] الخطوط [illegible] عبد الملك [illegible] بن عبد [illegible] [illegible] في [illegible] الأمر [illegible] أن صار الأمر إلى مروان بن محمد آخر خلفائهم وكتب له [illegible] وكان من الحسن والبلاغة على [illegible] الإطناب فيها حتى [illegible] على [illegible] الذي [illegible] في عهد الوليد لا يمكن أن يكون قد ظهر طفرة وبلا مقدمات [illegible]

[illegible] في عهد بني أمية [illegible] الدواوين في البلاد المفتتحة ، فقد كان يلي أمر هذه الدواوين [illegible] الأمر كتاب من [illegible] كانت تكتب بالفارسية ، وفي الشام بالرومية ، وفي مصر [illegible] في خلافة عبد الملك [illegible] [illegible] بن عبد الملك [illegible] كثير من [illegible]

(١) [illegible] ٢٩١

(٢) [illegible] ص ١٨١ ، ص ٢٤٢ [illegible]

أن طعمت بأساليبهم وأفكارهم ومناهجهم ، وكان [illegible]

[illegible] حتى [illegible]

[illegible] فارسية في [illegible]

[illegible]

وكان سالم [illegible]

تيار يوناني أسهم مع التيار الفارسي في [illegible]

[illegible]

بعض نماذج للكتابة الفنية في العهد الأموي :

[illegible]

ويوفرون لها ألوانا من القيم الجمالية [illegible]

[illegible]

(١) الفهرست — ابن النديم — ١٩١

(٢) [illegible] ٣٨٦ ، ٣٨٧

في [illegible] أثر الاستبداد [illegible] الكتاب [illegible] أكثر دلالة [illegible] أميل في خطبه ورسائله إلى هذا الطابع الذي [illegible] الاعراب [illegible] في هذا الطابع فصاحة وبلاغة ولذلك [illegible] (١) [illegible] في [illegible] هذه الفصاحة ? وهذا هو الكتاب : « إنا لقينا العدو ؛ فمنحنا [illegible] الأودية [illegible] وإنما نعد أيضاً أثر هذه [illegible] في تلك الرسالة التي [illegible] : سلام على الهداة من الولاة الذين يرعون حريم الله [illegible] ما اظهر من دينه ، واطلع به اهل السفالة ، وهدى [illegible] ولعمري يا ابن أم الحجاج إنك لست [illegible] لا تعرف الله ولا تجزع [illegible] ولا تنازعه حمامك ، فالحمد لله الذي [illegible] لعرفت ان مقارعة الأبطال ليست كتصدير [illegible] (٢) ».

[illegible] السجع المقبول بين جملها ، وفي هذا ما يؤيد وجهتنا في أن

---

(١) [illegible] ٣٧

[illegible] ٣٢٢

الكتابة في هذا العهد قد استأثرت بجزء كبير من [illegible] كانت هذه [illegible] في مصر [illegible].

[illegible] وكتاب [illegible] الأموي [illegible]

[illegible]

[illegible] من حيث البساطة والميل إلى الإيجاز ، ولعل مما [illegible]

[illegible]

هشام إلى عبد الملك بن [illegible] هشام

[illegible] (1) [illegible]

[illegible] الأخيرة

[illegible]

الذي أصاب [illegible]

ومهما كان [illegible]

والذاهب قد أدى إلى نشاط [illegible]

[illegible] ومما نلاحظ أن [illegible]

[illegible]

[illegible] شغلت مكانا في [illegible]

هذا العهد ، ولكنه في الحقيقة مكان [illegible]

[illegible]

[illegible] الأموي [illegible]

الذي [illegible] الأموي وهو

(1) [illegible]

عبد الحميد بن يحيى :

[illegible] «عبد الحميد» ولكن الذى يؤحد
من [illegible]
« [illegible] عبد الحميد [illegible] لؤى (١) » [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] (٢) »

[illegible]
[illegible] (٣) [illegible] الأسمار وذهب إلى الرقة
[illegible]
[illegible] النديم ورواية ابن خلكان بقوله : « إن
[illegible] (٥) »

[illegible] عبد الحميد الأدبية

[illegible] على أن عبد الحميد بن يحيى
[illegible]
[illegible] « كان عبد الحميد [illegible]
[illegible] (٦) »
[illegible] ابن النديم « [illegible] »
[illegible] (٧) »

(١) [illegible]
(٢) [illegible]
(٣) الفهرست ص ١١٧
(٤) [illegible]
(٥) [illegible]
(٦) العقد الفريد ج ٢ [illegible]
(٧) الفهرست ص ١١٧

ويقول المسعودي في ترجمته لعبد الحميد: «وكان أبو جعفر المنصور يحسد الأمويين على ثلاثة: على الحجاج، وعبد الحميد، والمؤذن البعلبكي»(١) وقال المسعودي [illegible] «[illegible] صاحب الرسائل والبلاغات وهو أول من [illegible] سائر [illegible] وسهل [illegible] في فصول الكتب واستعمل [illegible] (٢) [illegible] [illegible] ذكر عنده عبد الحميد [illegible] كلامه [illegible] لا كلام عبد الحميد».

«وقال البحتري في قصيدة له لمحمد بن عبد الملك:

وتفنن في بلاغته حتى   عطل الناس فن عبد الحميد

وقال ابن الرومي:

[illegible] عبد الحميد [illegible]   [illegible]»(٤)

إذن فقد تواترت الآراء [illegible] الحضري [illegible] على أن الرجل ذو مكانة ملحوظة في [illegible] العربي، وأنه ذو أثر عميق في تطور الكتابة الفنية [illegible] عبد الحميد؟ وما هي مظاهر التجديد في [illegible] هذا ما سنتناوله الآن.

الخصائص الفنية لأسلوب عبد الحميد

حفظت كتب [illegible] عدداً من رسائل عبد الحميد بن يحيى، والذي يقرأ هذه الرسائل يلاحظ [illegible] من أساليب [illegible] للكلام [illegible] موسيقى، كالازدواج، والسجع، والتوازن، فأسلوب عبد الحميد كانت [illegible] هذه الأنواع الثلاثة ولكنه لم يلتزم [illegible] يكد يخلو من واحد منها،

---

(١) [illegible] ج ١ — ٢١٤
(٢) مروج الذهب ج ٣ — ص ١٧٨
(٣) الوزراء والكتاب ص ٨٢.
(٤) أمراء البيان ج ١ — ٤٨، ٤٩

وهذا يدل على عناية عبد الحميد الفائقة [illegible] في اللفظ ، وإعطاء الكلام طابعاً موسيقياً [illegible] ، [illegible] وترتيب [illegible] حملا منطقياً دقيقاً . ولذلك كانت كتابة عبد الحميد [illegible] التي [illegible] باللفظ [illegible] حتى يبدو الكلام [illegible] [illegible] الكلام ما كان لفظه فحلا ومعناه بكراً[1] » إذن فعبد الحميد كانت تتوزع عنايته بين ألفاظه ومعانيه ؛ لأنه قد عرف ما لكليهما من أثر في [illegible] ، [illegible] ولهذا ما حمل أبا هلال [illegible] على خطأ المعاني [illegible] استعمال الألفاظ على وجوهها بلغة [illegible] في الأولى ، ألا ترى أن عبد الحميد [illegible] من اللسان الفارسي فحولها إلى [illegible] الكلام إلا من يكمل لإصابة المعنى ، وتصحيح اللفظ [illegible][2] »

[illegible]

[illegible] في [illegible]

ومن [illegible] في [illegible] عبد الحميد قد [illegible] عن ذلك [illegible] ما وصلنا عن سالم قد شاعت فيه أيضا هذه الظاهرة .

(١) [illegible] ٢ [illegible]
(٢) [illegible] ٥١
(٣) [illegible]

ونحن نستبعد مثل هذا التعليل ، لأن استعمال الحال من الأساليب العربية الشائعة المعروفة قبل عبد الحميد ، ولكن عبد الحميد قد أكثر من استعمال الوصف بالحال لا يعني أنه قد تأثر في ذلك بأسلوب اللغة اليونانية التي كان يعرفها [illegible] أكثر ما يعني أن عبد الحميد كان يتوسع في كتابته ، وأنه كان يؤثر الوصف بالحال لما رأى أنها تحقق له الإيقاع الصوتي الذي كان يقصد إليه في عامة أسلوبه . ثم إن عبد الحميد لم يعرف عنه أنه قد عرف شيئاً عن اليونانية ، ونعتقد [illegible] لا شك في [illegible] هذه اللغة .

ومن خصائص طريقة عبد الحميد أيضاً اعتماده على طريقة الخطابة .

أما أخص خصائص أسلوب عبد الحميد ، فالتطويل والإطناب ، ولا شك في أن ظاهرة التطويل من خصائص[1] الأسلوب الفارسي ، لأن الفرس [illegible] يطيلون في كتبهم وكلامهم ويعجبون من شأنهم ، وكان هذا يقتضي أن [illegible] إليهم الكلام ، ويعجبوا هم [illegible] هذه الظاهرة في أسلوب عبد الحميد في الكتابة العربية .

على أننا قد نجد بين رسائل عبد الحميد ما لم يخرجه في إيجازه عما عرفت به الرسائل في أول [illegible] ، ومن هذه رسالته من مطولات عبد الحميد [illegible] الكتاب ، وهي رسالة صحيحة تشهد على براعة عبد الحميد وطول نفسه ، ودقة تصويره ، ورجاحة عقله ، وعلمه بالكلام ، وجودة منطقه وسلامة ذوقه ، واتساع ثقافته ، كما تشهد بأن الرجل كان ذا أخلاق عالية ، ونفس سامية واعتزاز بصناعة الكتابة ، والرسالة في الحقيقة تعتبر دستوراً شاملاً للكتاب في أخلاقهم ، واستعداداتهم ، ووظائفهم ، وما ينبغي أن يكونوا عليه ، ولعل هذا ما حمل القلقشندي يقول في صبح الأعشى « أصل الآداب التي تجمع [illegible] ،

---

(١) سبق أن ذكرنا أن الدكتور عبد اللطيف حمزة [illegible] من خصائص مدرسة عبد الحميد [illegible] عبد الحميد [illegible] الكتابة وغيرها ، ومن رسائل عبد الحميد [illegible] في صبح الأعشى [illegible] وغيرها ؟ [illegible] تشهد [illegible] من أخص خصائص أسلوب عبد الحميد ؟ (راجع — ابن المقفع — لعبد اللطيف حمزة)

وسنعرض الآن لنموذج منها رسالة عبد الحميد الكاتب التي كتب إلى الكتاب يوصيهم[1] فيها، وقد دون القلقشندي هذه الرسالة في صبح الأعشى، وقد استغرقت حوالي أربع صفحات منه، ولا يسعنا نقلها لكثرتها، بل سنختار قدرا منها نقف على الخصائص الفنية التي ذكرناها في أسلوب عبد الحميد.

يقول في أولها[2]: «أما بعد، حفظكم الله يا أهل صناعة الكتابة وحاطكم ووفقكم وأرشدكم، فإن الله عز وجل جعل الناس بعد الأنبياء والمرسلين صلوات الله عليهم أجمعين، ومن بعد الملوك المكرمين أصنافا، وإن كانوا في الحقيقة سواء، وصرفهم في صنوف الصناعات، وضروب المحاولات، إلى أسباب معاشهم، وأبواب أرزاقهم، فجعلكم معشر الكتاب في أشرف الجهات، أهل الأدب والمروءة، والعلم والرواية، بكم ينتظم للخلافة محاسنها، وتستقيم أمورها، وبنصائحكم يصلح الله للخلق سلطانهم، ويعمر بلدانهم، لا يستغني الملك عنكم، ولا يوجد كاف إلا منكم، فموقعكم من الملوك موقع أسماعهم التي بها يسمعون، وأبصارهم التي بها يبصرون، وألسنتهم التي بها ينطقون، وأيديهم التي بها يبطشون، فأمتعكم الله بما خصكم من فضل صناعتكم، ولا نزع عنكم ما أضفاه من النعمة عليكم». وهكذا تمضي الرسالة إلى آخرها حتى تعد خير ما كتب للكتاب من قوانين الأخلاق ما يسمو به نفوسهم، ويهذب طباعهم، ويصلح ... وتجمع كل ذلك في هذا الأسلوب الجزل في غير تكلف، وذلك لأن المعاني دقيقة، والأفكار عميقة، والصور البديعة ... في هذه الرسالة تشهد بهذه الخصائص التي ذكرناها آنفا في أسلوب عبد الحميد، من حيث: الجزالة والقوة، والعناية باللفظ والمعنى على السواء، والحرص على تحقيق الترادف الموسيقي بين الجمل عن أي طريق، ثم التفخيم والإطناب.

هذا ولعبد الحميد رسالة أخرى تدل على التفخيم والإطناب والإطالة تلك

(١) صبح الأعشى ج ١ ص ٨٥

(٢) راجع نص الرسالة كاملا في صبح الأعشى ج ١ ص ٨٥ — ٨٩

هى الرسالة التى كتبها عبد الحميد [illegible] مروان [illegible] أبيه مروان بن محمد وكان قد أرسله لقتال الضحاك بن قيس الشيبانى [illegible] وهى أطول رسالة [illegible] عبد الحميد حيث قد دونها القلقشندى فى صبح الأعشى(1) فى نحو من أربعين صفحة ، والرسالة [illegible] شاملا لما ينبغى أن يكون عليه ولى عهد [illegible] من النصائح [illegible] لعبد الحميد بسعة الأفق [illegible]

[illegible]

[illegible] عن الأعداء (2) »

فى هذه [illegible] عبد الحميد [illegible] وفيها كاتب الوصف [illegible] قوة تأسر النفوس ، وتأخذ بمجامع القلوب ، فى [illegible] وفى أسلوبها عامة جمال وروعة وافتتان .

ولم [illegible] عبد الحميد فى [illegible] عند [illegible] والإطالة ، بل [illegible]

(1) [illegible] صبح الأعشى ج ١٠ ص ١٩٥ – ٢٣٣
(2) [illegible] ص ٧٢

[illegible] كانت معروفة في [illegible] الأعراض [illegible] [illegible] محمد [illegible] [illegible] الأعراض [illegible] [illegible] [illegible] الأعراض [illegible] [illegible] [illegible] من كلما [illegible]

[illegible] كرمها اجناسها ، واعطها أحسابا ، وأحسنها [illegible] الأدب [illegible] (1) [illegible]

[illegible]

[illegible] محمد [illegible]

(1) [illegible]

الفصل الرابع

النثر الفنى

منذ قيام الدولة العباسية

إلى ما قبيل ظهور الجاحظ

تمهيد

[illegible] الأمويين ، كان حدثا من أخطر الأحداث فى [illegible] لأنهم كانوا يطلبون الملك فقط ، فلذلك لم يكادوا يصلون إليه ، [illegible] عهد بنى أمية ، وفتح [illegible] الحضارة والثقافة لم يكن لهم عهد بها [illegible]

وعم الحضارة ، حياة هادئة [illegible] كما هذه [illegible]
[illegible] الأمة من [illegible]
[illegible] نتصور [illegible] والعسكرية التي [illegible] فيها الأدب [illegible]
[illegible] هذا التطور الشامل ، وأن ندرك العوامل التي كانت توجه الحياة الأدبية [illegible]
[illegible] من أهل البلاد المفتوحة وخاصة
[illegible]

[illegible] ولكن [illegible]
[illegible]
[illegible] كلام [illegible] عن هذه
[illegible] الأدب العربي قد استجاب لهذه
[illegible] الأدب [illegible] الحساس الذي يتحرك
[illegible]
[illegible] الأدب [illegible] كله [illegible]
[illegible]
[illegible] الإسلام [illegible]
[illegible]
[illegible] معنى هذا أن
[illegible]
[illegible] كل [illegible] في [illegible]
الأولى [illegible]
بالصنعة العربية — إذ ذاك — [illegible]
زحف إلى أساليب الكتاب ، ولكن [illegible]
[illegible] حتى [illegible] في [illegible]
[illegible]

و[illegible] نلاحظ [illegible] كان [illegible]

[illegible] في [illegible] الأدبية واللغة العربية ، [illegible]
[illegible] بالحكم الهندية والآداب الفارسية

ومهما يكن من أمر [illegible] في [illegible] الخلافة [illegible]
الأول من العصر [illegible] في [illegible]
[illegible] على [illegible]
[illegible] في [illegible]

١ — الخطابة في العصر العباسي الأول :

[illegible]
[illegible]
الأموي [illegible]
في [illegible]
[illegible]

أسباب قوة الخطابة في هذا العصر

لقد قام ملك بني العباس [illegible]
ضيق على رجال تلك الدولة [illegible]
الملك [illegible]
[illegible] في [illegible]
[illegible]
[illegible] عباس [illegible]
على [illegible]
[illegible]
[illegible] التي نشطت فيها الخطابة ، وهذا
أبو العباس السفاح مؤسس الدولة العباسية ، وأعمامه داود [illegible]

وصحح بن على ، وغيرهم من رجال الدولة العباسية ، وأثر عنهم عشرات الخطب(1)
[illegible] مكة والمدينة والشام والكوفة [illegible] بني أمية ، والغض من قيمتهم
والتهوين من شأنهم وذكر مثالاتهم وعد سوآتهم

وقد كان آل العباس وأعوانهم في حاجة [illegible] في عهد بني العباس الأول [illegible] الأمويين
[illegible] والعراق وحجة آل العباس بعد أن آل الأمر إليهم [illegible] بذلك لأنهم أحق
[illegible] ، وأنهم [illegible] من عم رسول الله ، وأنه [illegible] رسول الله ، فأى أمة
من آل بيت رسول الله [illegible] وهكذا [illegible] في وجه بني
العباس ، [illegible] إلى جانبهم [illegible] من شيعة على ، وهكذا كان ميدان آخر
من [illegible] التي تشغل [illegible] في [illegible]
الخارجين عليه من آل على وشيعتهم كلاما عشرات المصنفات من كتب التاريخ
واللغة والأدب(2)

وفي هذين [illegible] ، ونحن [illegible] الخاصة [illegible] الأول من
الخطابة في العصر العباسي الأول وهو :

١ — الخطابة السياسية

ونحن [illegible] في هذا العصر من [illegible]
[illegible] على صورة أن [illegible]
[illegible] وتمثيلها :

خطب داود بن على [illegible] فقال : « الحمد لله شكرا شكرا ،
الذى أهلك عدونا ، وأصار إلينا ميراثنا من نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، أيها
الناس : الآن أقشعت حنادس الدنيا ، وانكشف غطاؤها ، وأشرقت أرضها

(1) [illegible]
[illegible]
[illegible] .
(2) [illegible]

وسوقها ، وطلعت الشمس من مطلعها ، ورجع [illegible] من مرعه ، [illegible] قريباً ، وعاد [illegible] في [illegible] ، ورجع الحق إلى [illegible] في [illegible] أهل الرأفة بكم ، والعطف عليكم[1] » .

وهذه هي [illegible] أحد [illegible] في [illegible] حتى [illegible] قال : « [illegible] يا أهل الكوفة [illegible] عنا ، [illegible] مودتنا [illegible] عن ذلك ، [illegible] عن [illegible] الجور [illegible] حتى [illegible] الله بدولتنا ، فأنتم أسعد الناس بنا وأكرمهم [illegible] وفي عطائكم [illegible] درهم ، فاستعدوا فأنا السفاح المبيح [illegible][2] » [illegible] الخطبتين ، تدلنا على مبلغ ما وصلت [illegible] في عصر [illegible] من شأن [illegible] ، وكيف [illegible] الجديد [illegible] السابقين من بني أمية كما اتخذوها وسيلة لتدعيم ملكهم ، [illegible] .

٢ — الخطابة الدينية

[illegible] السياسة وحدها هي [illegible] الخطابة [illegible] المناسبة ، وإنما كان المجال الديني من [illegible] ونهضتها ، ذلك لأن دواعي الخطابة [illegible] في [illegible] الأموي من [illegible] موجودة [illegible] في عهد [illegible] كذلك [illegible] التي اعتمدوا عليها في تأسيس ملكهم ، والدين [illegible] في [illegible] وعواطفهم ، ومن ثم فإننا نجد أن الخلفاء العباسيين الأول [illegible] الخطابة في المساجد وغير المساجد[3] متذرعين بالدين وآيات [illegible] في [illegible] [illegible] من [illegible] .

(١) [illegible] ٢ [illegible] ٢١٣ .
(٢) [illegible] ٢ ص ٢١٣ .
(٣) [illegible] .

ومن ذلك ما نسوقه من خطبة المهدي قال : « الحمد لله الذي ارتضى الحمد لنفسه ، ورضي به من خلقه ، أحمده على آلائه ، وأمجده لبلائه ، وأستعينه وأومن به ، وأتوكل عليه توكل راض بقضائه ، وصابر لبلائه ... إلى أن يقول :

« ... [illegible] ... لا [illegible] سلامة ، [illegible] ... على [illegible] ، وبعد كبريائه وقدرته ، والانتهاء إلى [illegible] ... [illegible] ... يوم [illegible] فيه على النار ، يوم لا تكلم نفس إلا بإذنه فمنهم شقي وسعيد ... [illegible] ... »[1] .

٣ — الخطابة الاجتماعية

[illegible] ... لقد تجاوزت ذلك إلى [illegible] ... واستعطاف واستعطاء ، وعتاب ونصح ... [illegible] ... الخطابة في هذا العصر [illegible] إلى الإفصاح بها [illegible] ... وحسبنا أن نسوق مثالا منها تحقيقا للغرض ... [illegible]

[illegible] « عرضت أعرابية للمنصور في طريق مكة بعد وفاة [illegible] ... فقد [illegible] الله [illegible] الثواب في [illegible] ... [illegible] ... الله عن أمير [illegible] ... [illegible] »[2]

(١) جمهرة خطب العرب في العصر العباسي ٣ — ٥٠
(٢) صبح الأعشى ج ٩ ص ٢٧٨

الخصائص الفنية العامة للخطابة العباسية :

لقد [illegible] الخطابة في [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] القديمة [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible] أمية [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الخطابة [illegible] من قوة ومتانة [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] وتكلف ما لا غناء فيه .

وقد [illegible] في ذلك [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الخصائص [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

الألفاظ

كانت [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] بأن القوم كانوا [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] عن الفطرة الأصيلة والطبع السليم ، [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] من [illegible] [illegible] في [illegible] الأ[illegible] [illegible] [illegible]

الجمل :

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] قلقاً أو أضطرابا أو [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] — [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ولكن ذلك لا يفقدها في [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] قول داود بن علي في إحدى خطبه : « [illegible] لسان رأسه ، اتعظ امرؤ بغيره ، اعتبر عاقل قبل أن يعتبر به [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [1] ... » فكل جملة من [illegible] [illegible] [illegible] على معنى خاص [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

(١) [illegible]

السجع

والخطابة [illegible] من طرق الإقناع الصوتي ، وهي في [illegible] تتفق مع [illegible] الأموية في [illegible] على [illegible] وعلى [illegible] ولا [illegible] موضوعه [illegible] أو [illegible] ، وإنما كان يأتي السجع حيث يوحي به الطبع ، ويقضي به [illegible] الكلام [illegible] موضوعه ، [illegible] السجع أكثر في [illegible] لأنه أكثر اتصالا بالإحساس والعاطفة ، والسجع بما فيه من موسيقى صوتية [illegible] والاستجابة ولقد ناقشنا ذلك بتفصيل في الفصل [illegible]

المعاني :

[illegible] وتعددت آداب وثقافات ، واختلفت مظاهر الحياة [illegible] أثر عميق في تدعيم الناحية [illegible]

الموضوعات :

[illegible]

حول [illegible] وحول الدين ، وبذلك [illegible] فقد أصبح [illegible] — كما عرفت — أن حول الشئون [illegible] أغراض الخطابة فقد كان مجالا ضيقا محدودا لا يتعدى [illegible] — فقط ، و[illegible] التي للخطابة [illegible] في [illegible] الأغراض [illegible] الإسلامي [illegible] وتبسط في مجال الدين [illegible] فقد أصبحت خطابة في هذا العصر [illegible] في كثير من الأغراض والموضوعات الخطابية التي [illegible] في [illegible] من مدح [illegible] ومصير [illegible] والتهنئة والتعزية [illegible] من الأمور [illegible] في مطلع [illegible] فيه [illegible] واتصلت [illegible] مثله [illegible] في هذه الأغراض ، فلا [illegible] بذكر أمثلة [illegible] الخطابة الأغراض [illegible] [illegible]

الإيجاز والإطناب :

ولم يلتزم الخطباء العباسيون أسلوبا [illegible] في خطبهم من حيث الإطناب والإيجاز ، وإنما كانوا [illegible] ومقتضيات الأحوال ، فيطيلون الإطناب حيث يتطلبه الموضوع ، ويلجأون إلى [illegible] حيث يقضي به المقام ، ولئن كان النثر العباسي في عصره [illegible] قد اتجه بصفة عامة إلى التضخيم والإطالة إلا أنه قد ظل في [illegible] من حيث [illegible] والظروف ، فبينما نرى للسفاح والمهدي والمنصور [illegible] كذلك خطبا هي غاية في الإيجاز [illegible] في [illegible] حتى يكون [illegible]

وهذه خطبة للمنصور في [illegible] لا تتجاوز أكثر من ثلاثة أسطر يقول « ياعباد الله ، لا تظالموا فإنه مظلمة يوم القيامة ، والله لولا يد خاطئة ، وظلم

[illegible] من [illegible] وأنتم [illegible] ، و[illegible] من هو أحق بهذا الأمر منى [illegible] »

ظاهرة [illegible] في الخطابة العباسية

[illegible] ، وعزة الانتصار والملك أثر واضح في [illegible] كل [illegible] وأنه يجلس على عرش تلك الأمة [illegible] ، وبأنه الغالب المنتصر [illegible] واطاح برجالها ، وبأنه [illegible] التمكن فلا تستطيع قوة في [illegible] ، وقد ظهر [illegible] في [illegible] لا [illegible] في شيء [illegible] ، [illegible]⁽¹⁾ .

[illegible] من خطبة أبي العباس السفاح حين بويع [illegible] أن غيرنا أحق بالرياسة والخلافة منا ؟ فشاهت [illegible] الناس ؟ وبنا هدى الله الناس بعد ضلالتهم وبصرهم بعد جهالتهم ، وأنقذهم بعد هلكتهم ، وأظهر بنا الحق ، وأدحض بنا الباطل ، وأصلح [illegible] في خطبته [illegible] قوله : «.. فأنتم أسعد الناس بنا [illegible] في [illegible] [illegible] »[2]

و[illegible] من خطبة [illegible] المنصور في مكة « أيها الناس [illegible] سلطان الله في أرضه ، أسوسكم بتوفيقه وتسديده وتأييده ،

(١) [illegible] ص ٢٣ .

(٢) عصر المأمون — أحمد فريد رفاعي — ج١ ص ١٦٧

(٣) شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ٢١٣ .

[illegible] وأعطيه يادته ، فقد جاني الله عليه [illegible] علىّ قلمي (1) ... » .

[illegible]

٣ — الكتابة الفنية في العصر العباسي :

[illegible] تقدمت الكتابة الفنية في العصر [illegible]

[illegible] العقل جميعاً .

وقد أخذ [illegible] العصر العباسي يتجهون بكتابتهم نحو [illegible]

---

(1) [illegible]

والإيجاز [illegible] وذلك بطريقة [illegible] ، وقد لفتت هذه الظاهرة نظر بعض من كانوا يحبون [illegible] الأسلوب [illegible] من أن تبدأ [illegible] وتعرف [illegible] ويدعون إليه وهذا جعفر بن يحيى [illegible] « إن استطعتم أن تكون كتبكم كالتوقيعات فافعلوا »[1] [illegible] وقد كان لهذه الدعوة [illegible] بعض الكتاب مثل عبد الله بن طاهر ، وعمرو بن مسعدة ، وجعفر بن [illegible] ، ومحمد بن عبد الملك الزيات ، وغيرهم ممن كان هؤلاء [illegible] في الكتابة ، ومن [illegible] الأمثلة على هذا النوع من الرسائل الموجزة [illegible] طاهر بن الحسين [illegible] وقد قتل عيسى بن ماهان وبعث برأسه [illegible] « كتابي إلى أمير المؤمنين ورأس عيسى بن ماهان بين يدي ، وخاتمه في يدي ، وعسكره مصرف تحت أمري والسلام[2] »

فهذا [illegible] في [illegible] هذه ، ويبدو أن هذه الرسائل الموجزة [illegible] في مثل هذه الظروف كان لا بد أن تكون [illegible] من أجل الأمر لا يمكن أن تكون [illegible] أمر من الأمور [illegible] للإطالة والتفصيل ، فهي [illegible] من حيث موضوعها [illegible] ، وهذه رسالة [illegible] من ذلك النوع كتبها عمرو بن مسعدة [illegible] المأمون [illegible] « كتابي إلى أمير المؤمنين [illegible] ومن قبلي من قواده وأجناده في الطاعة والانقياد على أحسن ما تكون عليه طاعة جند تأخرت عنهم أرزاقهم واختلت لذلك أحوالهم[3] » فموضوع هذه الرسالة أيضاً مما لا يتطلب أكثر من تلك الإشارة [illegible] ولا يتسع للإطناب أو الإطالة ، وعلى الرغم من أن هذه التوقيعات والرسائل الموجزة [illegible] على المقدرة البلاغية ، فلم يستطع

(١) أدب الكتاب للصولي ص ٢٢٤
(٢) المثل السائر لابن الأثير ص ٣٢٦ .
(٣) أدب الكتاب للصولي ص ٢٢٤

أن [illegible] نستطيع أن [illegible] هذه المقومة [illegible] الأخيلة والمعجم [illegible] صفحات أدبية [illegible] وحسبنا أنه كان أكثر الكتاب يذهبون في الإطناب كل مذهب، ويطلقون كلامهم من قيود [illegible] الإيجاز [illegible]، وهذا النوع من الرسائل الطويلة هو الذي [illegible] عبد [illegible] في هذا العهد، وهو الذي نستطيع أن نستخلص منه بوضوح خصائص [illegible] في صدر العصر العباسي، [illegible] هذا التطور الذي أشرنا إليه، كما [illegible] أثر [illegible] الصنعة [illegible] والمبالغة في [illegible] الأساليب، ومن هذه [illegible] في [illegible] محمد في [illegible] «فإني احتجت لبعض أموري إلى رجل جامع لخصال الخير، ذي عفة ونزاهة طعمة، قد هذبته الآداب، وأحكمته التجارب، ليس بظنين في رأيه، ولا بمطعون في حسبه، إن اؤتمن على الأسرار قام بها، وإن قلد مهما من الأمور أجزأ فيه، له سن مع أدب ولسان، تقعده الرزانة، ويسكته الحلم، قد فر عن ذكاء وفطنة، وعض على قارحه من الكمال، تكفيه اللحظة، وترشده السكتة، قد أبصر خدمة الملوك وأحكمها، وقام في أمورهم فحمد فيها، له أناة الوزراء، وصولة الأمراء، وتواضع العلماء، وفهم الفقهاء، وجواب الحكماء، لا يبيع نصيب يومه بحرمان غده، يكاد يسترق قلوب الرجال بحلاوة لسانه وحسن بيانه، دلائل الفضل عليه لائحة، وأمارات العلم له شاهدة، مضطلعا بما استنهض، مستقلا بما حمل، وقد آثرتك بطلبه، وحبوتك بارتياده، ثقة بفضل اختيارك، ومعرفة بحسن تأتيك[1] ».

و هذه [illegible] الاستعداد [illegible] و [illegible] تدل على أنها قد [illegible] في [illegible] [illegible] والثقافة [illegible]

(١) أمالي [illegible] ص ٢٤٩ .

والأساليب النثرية فى العصر العباسى عامة لم [illegible] من ازدواج أو سجع [illegible]

السجع [illegible] على العصرة [illegible]

من الطبع ، مقصودين لذاتهما بحيث [illegible] على [illegible]

الثقيل كالذى حدث عند الكتاب فى العصور [illegible] أمام فساد اللغة

بتكلف البديع والزخرف ، بل [illegible]

لا تقل عن عناية [illegible]

[illegible]

وفيها نرى أن الكتاب لم يصرف [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] إليك تفضلك على واطراحك لى ،

[illegible] ولا أقعد ، ولا أنبه ولا أرقد ، فلست بحى صحيح ،

[illegible] الله منك إليك ، وتعمت منك عليك ولذلك قلت :

[illegible] إليك خطائى ‏ ‏ فأباحت [illegible] ذى رجاء

[illegible] حتى ‏ ‏ منك عفو عنه وفضل عطاء

ولعمرى [illegible] ‏ ‏ مقراً من ذنبه بسواء

[illegible] الله ما تحب ، [illegible]

[illegible] ليس منى بنحيزة ولا طبيعة ولا على

[illegible] من [illegible]

ولا خاشع لمن لا يستحق ذلك إلا لمن التضرع [illegible] (١) [illegible] هذه
الرسالة [illegible] حديدة [illegible]
جديدة أقل ما يقال فيها إنها [illegible] فإلى جانب هذا
المعجم الذي تتشح به جل هذه [illegible]
[illegible]

[illegible]

[illegible]

---

(١) [illegible]
(٢) [illegible]

كانت تنتقل من [illegible] الإطناب تبعاً للمناسبات ، ومقتضيات الأحوال ، وقد
[illegible]

أغراض النثر في هذا العصر

[illegible]
الذي [illegible]
لذلك فهو يتأثر بالظروف الاجتماعية والسياسية [illegible]
[illegible]
أشد الأثر [illegible] ومن أجل هذا [illegible] الأغراض التي [illegible]
الأدب تختلف من زمن إلى آخر ، ومن [illegible]

[illegible]

وإذا كانت هذه [illegible]
[illegible]
فمثلاً [illegible] أموي [illegible]
[illegible] إلى أغراض أخرى [illegible]
[illegible] إلى كثير من أغراض [illegible]
[illegible]
[illegible] من الأغراض [illegible]
[illegible]
الأغراض

ويضيق بنا المقام لو أننا [illegible] النثر وأغراضه
التي [illegible] الشواهد [illegible]
قدمناها [illegible]
من حيث موضوعاته [illegible] فقط [illegible] وأفكاره قد عمقت ،

وأخيه [illegible] لأن مشاهد الحياة ومقوماتها العامة قد تغيرت فلابد أن [illegible] الأدب [illegible] كما عرفنا قبلا .

وقبل أن نختم هذا الفصل سنكتب كلمة [illegible]

[illegible]

[illegible]

أما هذان الرجلان فهما : عبد الله بن المقفع ، وسهل بن هارون

١ — ابن المقفع

[illegible]

[illegible]

ولم يعين لنا الرواة تاريخ مولد « عبد الله بن المقفع » على وجه التحديد ، ولكنهم ذكروا أنه قد عمل في دواوين بني أمية [illegible]

(١) [illegible]
(٢) [illegible]
(٣) [illegible] ١٢٨

في [illegible] [1] في خلافة هشام بن عبد الملك ، كما استكتبه المسيح بن الحوارى في دواوين [illegible] عبد الله [illegible] ، وبذلك يمكننا أن نعرف على وجه التقريب متى [illegible] . فإذا [illegible] أن خلافة هشام بن عبد الملك قد بدأت سنة ١٠٥ هـ [illegible] سنة ١٠٦ هـ [illegible] ابن المقفع قد كتب في دواوين الخلافة الأموية فيما بين هذه [illegible] أن يكون قد ولد فيما بين سنة ٨٠ ، ٨٥ هـ [illegible] إلا إنسان في نحو الثلاثين أو [illegible] نعرف متى ولد ابن المقفع [illegible] الأول إلى ما يقرب من [illegible] سنة ١٤٢ و ١٤٣ هـ على [illegible] .

وقد [illegible] ابن المقفع [illegible] عيسى بن على [illegible] ثم [illegible] محمد [2] ، وما زال يعمل مع عيسى حتى قتل سنة ١٤٢ هـ

ابن المقفع في تاريخ النثر الفنى :

تتركز أهمية ابن المقفع [illegible] في [illegible] الأولى [illegible]

[illegible] على اللغة العربية من [illegible] ينقل إلى اللغة العربية [illegible] ولعل ابن المقفع هو [illegible] من فتح هذا الباب [illegible] الذى أصدق على [illegible] كثيرة [illegible] ابن النديم [3] في فهرسته عددا من هذه الكتب الفارسية التى نقلها ابن المقفع [illegible]

(١) [illegible]

(٢) الفهرست ص ١١٨

(٣) [illegible] الفهرست ص ١١٨

الفرس، و «التاج» في سيرة كسرى أنوشروان، و «آيين نامه» في [illegible] الفرس وعاداتهم وأخلاقهم، و «مزدك» و [illegible].

ومن الآثار اليونانية ترجم لأرسطو ثلاث كتب في المنطق وهي «قاطيغورياس» و «باري أرمينياس» و «أنولوطيقا» و [illegible] والقياس، والجدل.

ومن الآثار الهندية نقل الكتاب المعروف باسم «كليلة ودمنة». وليس بصحيح ما يرجحه الأستاذ «كرد علي» من أن ابن المقفع قد [illegible] هذا الكتاب بنفسه(١) ولم يترجمه؛ فيقول البيروني: «وبودي لو كنت أتمكن من ترجمة كتاب «بنج تنترا» المعروف عندنا بكتاب كليلة ودمنة، فإنه تردد بين الفارسية والهندية، ثم العربية والفارسية على ألسنة قوم لا يؤمن تغييرهم له كعبد الله بن المقفع(٢)».

وفي هذا النص ما يدل على أن ابن المقفع قد ترجم هذا الكتاب ولم ينشئه [illegible] وبهذا نستطيع أن ابن المقفع قد نقل إلى اللغة العربية مجموعة صالحة من آثار تلك الأمم التي غذت الأدب العربي غذاء كبيرا.

ثم مؤلفات ابن المقفع [illegible] في موضوعات مختلفة وهي الأدب الكبير، والأدب الصغير، و [illegible] و [illegible].

وشك بعض الباحثين(٣) في [illegible] أن [illegible] من تأليف ابن المقفع [illegible] على [illegible] من [illegible] وأرتاب [illegible] ابن المقفع مأخوذان، لأنه هو [illegible] في مقدمة «الأدب الصغير» و «الأدب [illegible]» ما يدل على [illegible] وعلى أن فيهما [illegible] الأدب الصغير فيقول: «قد وضعت في هذا الكتاب من كلام الناس المحفوظ حروفا فيها عون على عمارة القلوب وصقالها، وتجلية أبصارها [illegible] والدلالة على محامد الأمور، ومكارم الأخلاق» [illegible] في مقدمة الأدب الكبير «[illegible]

(١) انظر أمراء البيان ج ١ ص ١٠٢
(٢) تحقيق ما للهند من مقولة [illegible] ص ٧٦
(٣) [illegible]

على عالمنا في هـذا الزمان أن [illegible] « [illegible] القدماء » ، وغاية إحسان [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
التي يحتاج إليها الناس .

[illegible]
[illegible] أما التعثّر والارتباك اللذان شاع
في أساليب [illegible] آثار الترجمة الحرفية ودليل عليها . فنقول :
[illegible] ملاحظة « الدكتور
[illegible] [1] [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
يكونوا على منوال المتقدمين [illegible]
بكل شيء .

[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

(١) [illegible]

الخصائص الأسلوبية لنثر ابن المقفع

[illegible] وعلم غزير بأخبار الماضين وأحوالهم وآرائهم [illegible] هذا جليا في كل ما كتب.

[illegible] أسلوب قوي متين ، جزل الألفاظ ، سلس [illegible] عميق الأفكار [illegible] المعاني ، بارع الحكم [illegible] العقل [illegible]

[illegible]

[illegible]

ما البلاغة ؟ قال : اسم جامع لمعان تجري في وجوه كثيرة ، فمنها ما يكون في السكوت ، ومنها ما يكون في الاستماع ، ومنها ما يكون في الإشارة ، ومنها ما يكون في الحديث ، ومنها ما يكون في الاحتجاج ، ومنها ما يكون جواباً ، ومنها ما يكون ابتداء ، ومنها ما يكون شعراً ، ومنها ما يكون سجعاً وخطباً ، ومنها ما يكون رسائل . فعامة ما يكون من هذه الأبواب الوحي فيها ، والإشارة إلى المعنى والإيجاز هو البلاغة ، فأما الخطب بين السماطين ، وفي إصلاح ذات البين ، فالإكثار في غير خطل ، والإطالة في غير إملال ، وليكن في صدر كلامك دليل على حاجتك ، كما أن خير أبيات الشعر البيت الذي إذا سمعت صدره عرفت قافيته (١) .

[illegible] والأفكار والأحاسيس ، كان [illegible]

[illegible] ولكنه مع هذا كان كريم الديباجة [illegible]

[illegible]

[illegible]

سهل بن هارون :

كثير من أصحاب كتب التاريخ والتراجم [illegible] ترجمة سهل ، فلا نجد له ترجمة في وفيات الأعيان ، ولا في تاريخ بغداد ، ولا في طبقات الأدباء للأنبارى ، ولا [illegible] ، [illegible] ، وكان [illegible] [illegible] .

أما ياقوت في معجم الأدباء ، وابن نباتة في شرح العيون ، [illegible] في الصفات والمنسوب ، والصلاح الكتبي في فوات الوفيات ، [illegible] عن [illegible] [illegible] ، ولكن [illegible] [illegible] الثالث أو على وجه التحديد [illegible] عام ٢١٥ هـ على ما يذكر ياقوت في معجمه (١)

كان [illegible] الأهواز والبصرة (٢) ، [illegible] سهل بن هارون [illegible] [illegible] (٣) [illegible] [illegible] [illegible] مجمع العلماء والأدباء والفقهاء ، وملتقى [illegible] [illegible] .

---

(١) معجم الأدباء ١١ : ٢٦٨

(٢) معجم الأدباء ١١ : ٢٦٨

(٣) معجم الأدباء [illegible] : ٢٦٧

ثم ارتحل بعد ذلك إلى بغداد ، وهناك اتصل [illegible] ، وقد كان دالة على الفضل ابن سهل [illegible] فقربه [illegible] من المأمون وقدمه إليه ، فلما وثق منه المأمون [illegible] الحكمة [illegible] الأرض في مختلف العلوم [illegible] . فالحقيقة أن سهلا قد أفاد فائدة جليلة من حياته تلك ، وإن الذى يقرأ شيئا من كلامه ليحس إحساسا عميقا بهذا النضج العقلي والأدبي الذى بلغ [illegible] .

سهل وشعوبيته :

وكان [illegible] على أن سهلا كان من [illegible] ، [illegible] كانوا يعتدون بالكرم ويعدونه من مفاخرهم [illegible](١) [illegible] عن [illegible] سهل : « إن له في ذلك كتبا كثيرة »(٢) [illegible] .

مكانة سهل في تاريخ النثر العربي

[illegible] في أن سهلا يحتل مكانة [illegible] في تاريخ النثر العربي ، ولا يكاد

(١) [illegible] (٢) الفهرست [illegible]

[illegible] في ثبت الجاحظ ، [illegible] يرجحون أن سهلاً
كان من [illegible] كما عرف [illegible] ابن المقفع [illegible] والإنشاء ، والتأليف
وكان له في هذا [illegible] واسع [illegible] ولم يحفظ [illegible] منه .
[illegible] في [illegible] (1) فهو كتاب « النمر والثعلب » ، « الوامق والعذراء »
« ندود وودود وولدود » ، [illegible] ، « [illegible] » ، « [illegible] من أسر »
« تدبير الملك والسياسة » ، [illegible] في « القضاء » [illegible] إلى عيسى بن أبان
أما الجاحظ فقد تحدث عن سهل في باب « [illegible] » [illegible] وعد له بعض
الكتب ، ومعنى هذا أن سهلاً كان معروفاً [illegible] كما كان معروفاً
بالكتابة [illegible] والكتابة [illegible] لم يشتهر باسمه
أو الخطابة ، وكان كذلك ابن المقفع من قبله و[illegible] من بعده [illegible] شعر
ولكنهما لم يشتهرا به . [illegible] الجاحظ في حديثه عن سهل : « ومن الخطباء الشعراء
الذين جمعوا الشعر والخطب والرسائل الطوال [illegible] والكتب الكبار المجلدة
والسير الحسان المولدة ، والأخبار المدونة سهل بن هارون بن راهبون الكاتب
صاحب كتاب « [illegible] » في معارضة كتاب كليلة ودمنة ، وكتاب
« الإخوان » وكتاب « الرسائل » ، « المخزومي والهذلية » وغير ذلك من
الكتب(2) »

ولكن الناس [illegible] من كل هذه الآثار [illegible]
واحد شم فيه ريح سهل . ولولا تلك الرسالة الرائعة التي [illegible] من
[illegible] والجاحظ [illegible] في مقدمة كتاب البخلاء ، لا [illegible]
[illegible] وفهمه [illegible]
وذاع في [illegible] على عهده [illegible] معرفة ، وأضاف
إلى [illegible] باسمة فيها من الزهو كل عجيب .

---

(1) الفهرست ص ١٢٠ .
(2) البيان والتبيين ج ١ ص [illegible]

الخصائص العامة لأسلوب سهل :

من خلال [illegible] في بعض كتب الأدب [illegible] في حفظها له الجاحظ نستطيع أن نقف على [illegible]

١ — الطابع الجدلي :

[illegible]

[illegible] فإن أبناء عمه قد حموا بخله [illegible] ، وألصقوا به ضروبا من [illegible] عن نفسه ، وأخذ يفند تهمهم التي وجهوها [illegible] والبراهين وما يحفظه من أقوال السابقين وأعمالهم [illegible] ومحبته للبخل حتى يخيل إليك أن البخل [illegible]

[illegible]

وأفكاره ، ولكنها مغالطات [illegible] بالمنطق السديد ، واستمع إلى مثل [illegible] كلامه [illegible]

أحدى [illegible] أطيب لطعمه ، وأزيد في ريعه ، وقد [illegible] لأهله : أمسكوا [illegible]

الطمئنين ، وعمم على قولى [illegible] موقع [illegible] فى موجود [illegible]
[illegible] موقع الأقصى فى [illegible]
[illegible]
الأعصاب [illegible] وحدث فى الأعصاب فضلا على الماء
[illegible] عن التهاون فى اشتداده
[illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] ؟ قال : لمعرفة [illegible]
[illegible] : حالها هى القاضية عليهما
[illegible] فيه عن
[illegible] (٢)»

[illegible]
[illegible] من كلامه حتى

(١) [illegible]
(٢) [illegible]

تكاد تفصل [illegible] على [illegible] بقدرة [illegible] حتى [illegible] نوب عن
حتى [illegible] وكأنه [illegible] فضلت [illegible] على [illegible] ، والزجاج
على الذهب . وروى صاحب شرح العيون أن رجلا مدح الذهب وأطال فى ذلك
ثم قام النظام وذم الزجاج وأطال فى ذلك ، ثم قام بعدهما سهل ليفضل الزجاج على
الذهب فقال : « الزجاج مجلو نورى ، والذهب متاع ساتر ، والشراب فى الزجاج
أحسن منه فى كل معدن ، لا يفقد معه وجه النديم ، ولا يثقل اليد ، ولا يرتفع
فى السوم ، [illegible] الذهب [illegible] ، [illegible] فى [illegible] ، وهو [illegible]
فاتك « غالب » لمن ماله ، وهو أيضا من مصايد إبليس ولذلك قالوا : أهلك
[illegible] الأحمران « الذهب والفضة » و [illegible] ، ولا [illegible]
ومتى [illegible] ، [illegible] جديدا ، وهو أشبه شىء بالماء ، وصنعته عجيبة ،
وصناعته عجيب[(1)] » .

[illegible] تلك الأوصاف [illegible] الزجاج [illegible]
الذهب ، وحملت كلا منهما مكان الآخر

[illegible] فى [illegible] على [illegible]
الحسن [illegible] واحد من البلاغة [illegible] « ولو أن رجلين خطبا او تحدثا
أو [illegible] أحدهما جميلا بهيا ولباسا نبيلا وذا حسب شريف ، وكان
الآخر قليلا [illegible] دميما ، [illegible] الذكر مجهولا ، ثم كان كلامهما فى مقدار
واحد من البلاغة ، وفى وزن واحد من الصواب ، لتصدع عنهما الجمع ، وعامتهم تقضى
[illegible] على [illegible] ، وللباذ الهيئة على ذى الهيئة ، ولشغلهم التعجب
منه عن مساواة صاحبه ، ولصار التعجب على مساواته له سببا للتعجب به ،
والإكثار فى شأنه علة للإكثار فى مدحه ، لأن النفوس كانت له أحقر ، ومن
بيانه أيأس ، ومن حسده أبعد ، فإذا ظهر منه خلاف ما قدروه وتضاعف حسن
كلامه فى صدورهم ، [illegible] فى عيونهم ، لأن الشىء من غير معدنه أغرب

(١) شرح العيون ص ١٥٤

وكلما كان أبعد فى الوهم كان أظرف ، وكلما كان أظرف كان أعجب وكلما كان أعجب كان أبدع [illegible] وكذلك كحوادث [illegible] وصحح [illegible] [illegible] أعجب ، ويجعلهم منه [illegible] أكثر [illegible] موكلون [illegible] [illegible] [illegible] هم فى الوجود [illegible] ، ولا [illegible] [illegible] من [illegible] و[illegible] [illegible] فى [illegible] النفس ، وفى [illegible] [illegible] ، [illegible] [illegible] يستطرفون القادم إليهم ، ويرحلون [illegible] [illegible] عنهم ، [illegible] من هو [illegible] [illegible] فى وجوده [illegible] وأحسن [illegible] وأكثر فائدة[1] » وسهل هنا يستخدم علم النفس فى البرهنة على [illegible] التى [illegible] [illegible] [illegible] فى [illegible] وعمق [illegible] تلك الخطرات النفسية التى [illegible] كل من [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] سهلا قد برع فى هذا الباب براعة فائقة ، ولعل [illegible] [illegible] [illegible] وقدرته على اللعب بنفوس الناس [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] والناس [illegible] على منازلهم ، فتكلم المأمون بكلام [illegible] [illegible] [illegible] المأمون من كلامه [illegible] [illegible] ولا [illegible] [illegible] ولا [illegible] [illegible] ولا [illegible] [illegible] ولا [illegible] [illegible] فى [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] فى [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] من لا [illegible] [illegible] المأمون [illegible] [illegible][2] »

٢ — الفكاهة والنكتة :

ومن الخصائص البارزة فى كتابة سهل [illegible] [illegible] [illegible] الجلية فى ثنايا كلامه ، فينعكس [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] فى سهلا [illegible] [illegible]

(١) [illegible]
(٢) [illegible] ٣١٨ ، ٣٢٠

به عليك فقال : وما هو يا أخي ؟ قال : [illegible] درهم وهو طابع
الله في أرضه لا يعصى ، وهو عشر العشرة ، والعشر عشر [illegible] [illegible] عشر
الألف [illegible] [illegible]
[illegible]
[illegible] حتى [illegible] [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
أن رميته فقال : [illegible] [2] ».

[illegible]
على توليد المعاني ، وتعظيم الحقير حتى [illegible]

٣ — الفكر :

[illegible]
[illegible]
[illegible] حتى [illegible] قد سبقتها إلى جنانك حكمة بالغة أو معنى كريم ؛
وهكذا [illegible]
[illegible] لا تلتمسه في أي ميدان إلا وجدته فيه ، استمع
إليه [illegible]

(١) [illegible] ص ١٥٣
(٢) [illegible] ص ١٥٣

[illegible] ، وإن حيث [illegible] في [illegible] [illegible]

[illegible]

[illegible]

ومن طلب الدنيا طلبه الموت حتى يخرج منها ، ومصيبة في [illegible] تعلموا العلم ، فلأن يذم الزمان لكم خير من أن يذم [illegible]

٤ – [illegible]

[illegible] أعراضه ، ويوضح اهدافه [illegible] الاستجابة إليه أسرع [illegible]

[illegible]

[illegible] العربية ، أما سهل فإنه أنشأ إنشاء كتب [illegible] كليلة ودمنة [illegible] ، كما نلمح ذلك في [illegible] الى [illegible] يكثر فيه من سوق القصص [illegible] على هذا ثقافته الواسعة وعلمه الغزير .

---

(١) [illegible]

(٢) [illegible] ١٧٤

٥ — العناية بتجويد الأسلوب

لم يكن سهل [illegible] كل [illegible] وجوده [illegible] ولكنه كان [illegible] الأسلوب وحسن [illegible] الأفكار [illegible] في [illegible] [illegible] حتى [illegible] [illegible] إلا [illegible] [illegible] على [illegible] طريق السجع أو الازدواج [illegible] في كلامه [illegible] [illegible]

[illegible]

[illegible] وبسط الأدلة ، في [illegible] [illegible] شديدة [illegible] سهل لامتزجت بكلامه .

ولكن [illegible] سهل [illegible] وسيبقى [illegible] ولا [illegible] الأيام سهانها .

وقبل أن ننتقل إلى الجاحظ ، [illegible] القيمة للنثر العربي حين تسلمه الجاحظ حتى [illegible] في [illegible]

وسهولة ما هي آثار الجاحظ [illegible] ، [illegible] أن تكون [illegible]
إليه من جديد في نواحيه المختلفة .

الخصائص العامة للنثر الفني حين تسلمه الجاحظ

حاولنا في الفصول السابقة أن نتتبع [illegible] النثر الفني [illegible] نشأته في اللغة العربية حتى تسلمه الجاحظ ، وقد سرنا معه خلال هذه العصور التي مر بها ، ووقفنا معه في البيئات المختلفة التي عاش فيها ، وبينا بقدر [illegible] وصوره ، ومنهجه العام في كل عصر ، وما كان يتعرض له من تطور وتغير خلال [illegible] من [illegible] ، وقد شهدنا كيف أن النثر كان [illegible] عن [illegible] ، [illegible] في أسمائها والأسماء ، [illegible] مستواه [illegible] والاجتماعي [illegible] ماضيه .

[illegible] ، [illegible] الأمر [illegible] ابن المقفع ، وسهل بن هارون [illegible] عن الجاحظ أدوارا هامة ، وأضافوا [illegible] خصائص جديدة ، [illegible] موجودة [illegible] يجب ألا ننسى أن النثر كان لابد أن يتطور [illegible]

[illegible]

أولا : الجانب الشكلي

(أ) الألفاظ :

[illegible] كانت [illegible] [illegible] فمن [illegible] الجانب الشكلي [illegible] ، لأنهم كانوا يفهمون أن [illegible] عن [illegible] ، [illegible] جانب ذلك من يقصد به الإمتاع [illegible] عن [illegible] بالجانب الشكلي [illegible] موضوعي [illegible] [illegible] من [illegible] ، [illegible] بالمعنى ولا [illegible] على [illegible] من أن عبد الله بن المقفع كان كثيراً مايتوقف عن الكتابة إذا كتب ، فقيل له في ذلك فقال : « إن الكلام يزدحم في صدري فاقف [illegible] الأصلح في [illegible] تنسم بالرقة حينا والجزالة حينا آخر ، لا [illegible] ولا [illegible] ، [illegible] في [illegible] ، مؤتلفة مع قريناتها متحدة مع معناها .

(ب) الجرس

واحد [illegible] الصوتية [illegible] [illegible] ملاءمة [illegible] في [illegible] [illegible] كلمة في ذاتها ، لايدرك جمالها إلا إذا [illegible] في غيرها ، وجمالها مع غيرها لايتحقق إلا إذا انسجما وتعادلا ، ولذلك فقد [illegible] الكتاب من الجاحظ [illegible] [illegible] ، ويوفروا لها ضروبا من التعادل الصوتي [illegible] في [illegible] ، [illegible] في [illegible] [illegible] الثلاثة [illegible] من [illegible] التي تتحقق بإيجادها الموسيقى الصوتية [illegible] [illegible] [illegible] ، وسكنها كانت [illegible] على [illegible] ، [illegible] [illegible] مثل

(١) [illegible]

عبد الحميد ، وابن المقفع وسهل بن هارون ، وأحمد بن إسماعيل ، وأحمد بن يوسف وعمرو بن مسعدة ، [illegible] مسجوعة [illegible] مزدوجة [illegible]

وفضل السجع والازدواج [illegible] في حسن الكلام لا يجحد ، وللعلماء في ذلك أقوال مشهورة [illegible] ، منها ما قاله أبو هلال العسكري في الازدواج ويعني به الكلام الذي زووج بينه بالفواصل ، [illegible] على وتيرة واحدة قال : « لا يحسن منثور الكلام ولا يحلو حتى يكون مزدوجاً ، ولا تكاد تجد لبليغ كلاماً يخلو من الازدواج ، ولو استغنى كلام عن الازدواج لكان القرآن ؛ لأنه في نظمه خارج من كلام الخلق ، وقد كثر الازدواج فيه حتى حصل في أوساط الآيات فضلاً عما تزاوج في الفواصل(1) منه » وقد تقدم لنا أن أبا هلال [illegible] في السجع [illegible] لم يكن في جميع صنوف الكلام أحسن منه » ، ويقول ابن الأثير في الموازنة : « وللكلام [illegible] طلاوة ورونق [illegible] وكانت [illegible] (2) [illegible] هذه الأقوال وهي كثيرة ومشهورة ، ولكن [illegible] أن [illegible] في رونق الأسلوب وطلاوته وجماله [illegible]

(هـ) الصور البيانية و[illegible]

[illegible] والأسلوب جمالاً ، وهي قديمة وأصيلة في الأدب العربي ، [illegible] أقدم عصور الأدب [illegible]

(1) [illegible]
(2) [illegible] ١٩٩

[illegible] الحقيقة المباشرة في التعبير
عن [illegible] وحدث في حدود
[illegible] كانت محدودة
وضيقة ، ولكن [illegible] الحضارة ،
[illegible] الكتاب يكثرون استخدام
هذه الصور البيانية [illegible] ومن ثم نشهد
[illegible] نتحدث فيها عن أصول الكتابة
في [illegible] ورسول
الضمير ، ودليل الإرادة ، والناطق عن الخواطر ، وسفير العقول ، ووحي الفكر
[illegible] على [illegible] أحوال [illegible] ،
[illegible] عن [illegible]
[illegible] » (١)

[illegible]

[illegible] الأسلوب [illegible]
[illegible] هذا العصر
[illegible] أو [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

الإيجاز والإطناب .

[[illegible] ، [illegible] الكتاب
من قبل [illegible] ،
[illegible] ، ويبسطون معانيهم ، ويؤدونها [illegible]

(١) [illegible] ص ٢٣٣

[illegible] قصدا [illegible] وتقويتها ، وقد كان عبد الحميد بن يحيى هو أول من طول [illegible] كما عرف ذلك من قبل ، وقد [illegible] كثير من الكتاب الذين جاءوا بعده [illegible] الموضوعات التي كانوا يؤدونها [illegible] يحتاج إلى الإسهاب [illegible] والشرح والتحليل ، ولقد [illegible] الذي [illegible] والمناسبات وطبيعة الموضوعات .

[illegible] الموضوعي

( ) المعاني

[illegible] في هذا العصر « العباسي الأول » قد [illegible] عما كانت عليه من قبل ، لأن الحياة لم تعد تلك الحياة العربية المحدودة [illegible] أصبحت حياة معقدة [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] العميقة . ولقد رأينا ذلك في تلك المعاني [illegible] سهل بن هارون وغيرهم من [illegible] هذا العصر

[illegible]

(ب) الموضوعات

[illegible]

المشتركة، وهذه الثقافات والحضارات الجديدة التي اطلع عليها العرب ولم تكن
معروفة لهم من قبل [illegible] في سياسة الحرب؛ وسياسة السلم
وتدبير الملك، [illegible] وأخلاق [illegible] الأخلاق،
[illegible] وتدبير [illegible] وحقوق [illegible] وحقوق [illegible]
[illegible] من مدح [illegible] وهجاء [illegible]
[[illegible]
[illegible] على كل شيء فيها إلا على يد الجاحظ الذي [illegible]
[illegible] أثر

[بعد هذا التلخيص الموجز لأهم خصائص [illegible]
[illegible]
[illegible]]

[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

الباب الثاني

الجاحظ

حياته   عصره   آثاره

الفصل الأول

الجاحظ

عصره

[illegible] المدنية الإسلامية [illegible] ولا [illegible]
من [illegible] العصر [illegible]
[illegible] الأرض [illegible]
دولتين من أقوى دول العالم وأعظمها — [illegible] — وهما دولة الفرس ودولة
الروم ، [illegible]
[illegible]
[illegible] استقرارا عظيما ، وأرسيت قواعدها [illegible]
وأصبحت هذه الأمة [illegible] الإسلامية [illegible]
الإسلام [illegible]
[illegible] والاجتماع والاقتصاد [illegible]
[illegible] وجيش قوي ، ووزراء وحجاب ، وقصور
[illegible] ومساجد وقباب ، وأموال وفيرة ،
[illegible]
[illegible]

وهكذا كانت [illegible] التي شهدها الجاحظ [illegible]
الألوان التي التقت فيها حضارات [illegible] الأمر [illegible]
[illegible]

[illegible] كاشف [illegible] ، والموجه الأمين ، والآتي في الحكم ،
[illegible] ، [illegible] بكل صوره [illegible]
وأحد [illegible] كتبه ورسائله ، حتى [illegible] ، وذلك
[illegible] الخالد

مولده ونسبه ونشأته :

كان [illegible] مولى من [illegible] ، [illegible] من أخص [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] (١) فإذا صحت هذه الرواية يكون الجاحظ قد ولد [illegible]

[illegible] فكفلته أمه وقامت على [illegible] [illegible] إلا بعد أن اتصل بكبار رجال [illegible] عن رسائله وكتبه

وقد اضطربت روايات المؤرخين في أصل الجاحظ ونسبه ، فذهب بعضهم إلى أنه كناني [illegible] أي قرشي ، وهو كنانة

(١) معجم الأدباء ج ١٦ — ٨٤ .
(٢) معجم الأدباء [illegible] ٧٤ .

[illegible] صحيحة [illegible] من
أصول [illegible]

[illegible] ثم الجاحظ وكان [illegible]
[illegible]

[illegible] أن أباعثمان كان عربي الفم والنسب ، فهذا الرجل
[illegible]
[illegible]
[illegible]

ثقافة الجاحظ وأساتذته :

[illegible]
[illegible]
[illegible] والمعرفة ، وبتلقى العلم [illegible]
بالعلماء والفصحاء [illegible] عنهم كل ما وعت صدورهم من
علم ومعرفة

[illegible]
يكون من بين هؤلاء الأساتذة « الأصمعي » [illegible]
[illegible]
[illegible] الذى كان يقول عنه الجاحظ « لم يكن
فى الأرض خارجى ولا إجماعى أعلم بجميع العلوم منه[1] » [illegible]
[illegible] ومنهم كذلك أبو الحسن الأخفش
الذى أخذ عنه النحو والتصريف وهو [illegible] كما تتلمذ على [illegible]

(٣) معجم الأدباء ١٦ — ٨٤
(١) البيان والتبيين ج ١ : ٢٢٢ .

الأنصاري، وصالح بن جناح اللخمي، وإبراهيم بن سيار النظام المعروف[1] بالنظام، شيخ المعتزلة وإمامهم، أخذ الجاحظ عنه علم الكلام، وسبقه حتى أصبح من أعلامه الكبار، وصارت له فرقة من مدارسه عرفت بالجاحظية، وقد بلغ من إعجاب الجاحظ بالنظام وإكباره علمه وسعة معرفته أنه قال عنه: «إن الأوائل يقولون في كل ألف سنة رجل لا نظير له، فإن كان ذلك صحيحاً فهو أبو إسحاق النظام[2]».

عن هؤلاء الأساتذة وغيرهم أخذ الجاحظ ثقافته، وكان شغوفاً بالعلم [illegible] لم يدع فرصة تسنح إلا انتهزها فيما ينمي هذه الثقافة ويقويها، فأخذ من [illegible] ثمر تلك العلوم والآداب التي شاعت في عصره، وشغف بها شغفه بكل ما يقع عليه من كتب، وما أكثر ما كان يقع عليه منها [illegible] يقضي لياليه وأيامه في طلبها يلتمسها في الطريق وفي حوانيت الوراقين، حدث عنه أبو هفان قال: «لم أر قط ولا سمعت من أحب الكتب والعلوم أكثر من الجاحظ، فإنه لم يقع بيده كتاب قط إلا استوفى قراءته كائناً ما كان، حتى إنه كان يكتري دكاكين الوراقين ويبيت فيها للنظر[3]».

ويبدو أن الجاحظ لم يكن يشغل نفسه بشيء إلا [illegible] وهب [illegible] في [illegible] وقته وجهده حتى وصل إلى [illegible] روى ياقوت في معجمه قال: «كان أبو عثمان الجاحظ من أصحاب النظام، وكان واسع العلم بالكلام، كثير التبحر فيه، شديد الضبط لحدوده، ومن أعلم الناس به وبغيره من علوم الدين والدنيا[4]».

شهرته وسعة ثقافته

وهكذا نرى أن أبا عثمان كان [illegible] عصره من [illegible]

---

(١) [illegible] معجم [illegible] ٧٥

(٢) [illegible] ٢٩

(٣) معجم [illegible] — ٧٥

(٤) معجم [illegible] ٨٣ ، ٨٤

بما عقده [illegible] و [illegible] وتحدثت عنه ثقافته و [illegible] سريعة عن ذلك الإسراع [illegible] الذي لم يكد [illegible] من [illegible] ولا [illegible] من [illegible] ، ولا نوع من أنواع المعرفة [illegible] في زمانه إلا [illegible] ووعاه ، و[illegible] ، وبين [illegible] ، ولم يكد يمضي وقت قصير حتى طارت لأبي عثمان شهرة [illegible] [illegible] الآفاق [illegible] الأمصار ، [illegible] و[illegible] ، [illegible] [illegible] وقصده الناس من كل مكان [illegible] عنه [illegible] ، [illegible] أن أبا محمد الحسن بن عمرو [illegible] قال : « كنت بالأندلس [illegible] لأبي عثمان [illegible] يعرف بسلام بن يزيد [illegible] [illegible] عن [illegible] مع أبي عثمان [illegible] أبو عثمان في الأندلس [illegible] : كان طالب العلم بالمشرق يشرف [illegible] أبي عثمان [illegible] فأشاروا إليه ، ثم أردفه عندها [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] شيء حتى [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] إليهم [illegible] على [illegible] [illegible] [illegible] عشرين [illegible] أبو عثمان [illegible] وحركه في [illegible] من [illegible] الأندلس [illegible] في [illegible] [illegible] سلام [illegible] من [illegible] يزيد [illegible] [illegible] زبيده [illegible] [illegible] ما [illegible] على [illegible] [illegible] وعزه أحد ثقة ، ودهشه الداخل فقال : عمري حول عشرين [illegible] ليس فيهم [illegible] كان يجب أن [illegible] بها فقال : [illegible] عليه عشرين سنة »[1]

ومن آيات شهرته أيضاً ما روي من أنه : قيل لأبي عثمان يوماً : لا تهجو الجاحظ ؟ وقد [illegible] بك ، وأخذ يضحك ؟ فقال : أمثلي يخدع عن عقله ، والله لو وضع

(١) معجم الأدباء ج ١٦ — ١٠٤

[illegible] شهود [illegible] ألف [illegible]
منها بيت في ألف سنة»(١).

[illegible] هذه العبقرية [illegible]
[illegible] في كل زمان ومكان.

[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
في [illegible] الكتاب(٢).

[illegible] وكان من
[illegible]
[illegible]
[illegible] بعض هذه
[illegible]
[illegible] : «إنما أنا وجارية تخدمها وخادم وحمار . أهديت
كتاب الحيوان إلى محمد بن عبد الملك فأعطاني خمسة آلاف دينار ، وأهديت
كتاب [illegible] فأعطاني خمسة آلاف دينار ، وأهديت
كتاب [illegible] فأعطاني خمسة آلاف دينار ،
فانصرفت إلى البصرة ومعي ضيعة لا تحتاج إلى تجديد ولا تسميد»(٣).

كان بين الجاحظ وابن الزيات ولاء وود ، فلما مات الواثق وولي الخلافة

(١) معجم الأدباء [illegible]
(٢) معجم الأدباء [illegible]
(٣) معجم الأدباء [illegible]

من بعد المتوكل ، وكان هذا ذا حفيظة على عبد الملك ، استطاع القاضي أحمد بن أبي دواد [illegible] أن يوغر صدره عليه حتى فتك به ، فأراد الجاحظ أن [illegible] من [illegible] : « حدث إسحاق [illegible] كنت عند أحمد بن أبي دواد بعد قتل ابن الزيات فجيء بالجاحظ مقيدا ، وكان من أصحاب [illegible] فقال : « والله ما علمتك إلا متناسيا للنعمة ، كفورا للصنيعة ، معددا للمساوئ ، وما فتني باستصلاحي لك [illegible] وردائة [illegible]

[illegible]

[illegible] أحذر منك أذا أخذ القرى وهي ظالمة ، إن أخذه [illegible] أعز الله القاضي ، فقال جيئوا بحداد . فقال :

[illegible]

[illegible] ابن أبي دواد وأهل مجلسه [illegible] وكان حاضرا . أنا أثق بظرفه ولا أثق بدينه ، ثم [illegible] به إلى الحمام ، وأميطوا عنه الأذى واحمل إليه تخت ثياب [illegible] ثم [illegible] عليه وقال هات الآن حديثك يا أبا عثمان[1] » وهكذا استطاع [illegible] وظرفه ودكائه وسرعة خاطره ، أن يخلص نفسه من أعنف المآزق ، وأن يحيل السخيمة والحقد في نفوس أعدائه إلى [illegible] ومحبة

---

(١) معجم الأدباء ج ١٦ [illegible] ٧٥

[illegible]

[illegible]

الناس لكل عجيب، كان خفيف الظل، حلو ال[illegible]

مرح الدعابة، أثرت في نفسه دمامة وجهه وجحوظ عينيه، وكان يكره أن يلقى [illegible]

[illegible]

فقال: مالك يامولاي؟ قال: قد وجلت نفسي [illegible]

[illegible][2]

ويظهر أن شعوره بالنقص في خلقته [illegible] شخصيته [illegible]

---

(١) دائرة معارف [illegible] مجلد ٦ ص ٣٤٨

(٢) دائرة معارف [illegible] مجلد ٦ ص ٣٤٨

في [illegible] عاش أبو عثمان الجاحظ [illegible] والاتصال [illegible]
[illegible]

وهكذا [illegible]
[illegible]
ودعابة ، تندى قلبك [illegible] ، ولا تدعك إلا وأنت
شديد [illegible]

[illegible] الإنسانية
[illegible] على مر الأزمان الخلود

آراء في الجاحظ

[illegible]

[illegible] تبينا آراء العلماء في علم الجاحظ [illegible] وهكذا
سنكتفي هنا بعرض قليل من هذه الآراء حتى [illegible]
[illegible] في توجيه الحياة العلمية والأدبية :

[illegible] كان أبو عثمان [illegible] من أصحاب الكلام وكان واسع العلم

بالكلام، كثير التصرف فيه، شديد الضبط لحدوده، ومن أعلم الناس به وبغيره من علوم الدين والدنيا، وله كتب كثيرة مشهورة جليلة في نصرة الدين، وفي حكاية [illegible] وفي الآداب والأخلاق، وفي ضروب من الجد والهزل، وقد تداولها الناس وقرؤوها وعرفوا فضلها، [illegible] كتبه [illegible] في تلقيح العقول وشحذ الأذهان [illegible] الكلام وجواهره [illegible] خلاف الإسلام [illegible] كتب تشبهها، والجاحظ عظيم القدر في [illegible] الأمور (١) »

وقال [illegible] — [illegible]

« [illegible]

بشأن هذه الرقعة كأنه استعجم عليك شيء منها؟ فقال [illegible] الجاحظ، وكلامه [illegible] (٢) »

وقال المسعودي: « [illegible]

الجاحظ، وقد كان أبو الحسن المدائني كثير [illegible]

[illegible] وكتب الجاحظ [illegible] الأذهان، [illegible]

[illegible] وكلاهما من كلامه أجزل [illegible]

[illegible]

[illegible] (٣) »

وقال [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

(١) معجم الأدباء [illegible] ١٠

(٢) معجم الأدباء [illegible] ٩٢

(٣) مروج الذهب ٤ — ١٢٤

(٤) معجم الأدباء ١٦ — ١٠٣

وقال ثابت بن قرة، وهو فيلسوف صابئ معاصر للجاحظ ومن كبار مؤرخيهم: «ما أحسد هذه الأمة العربية إلا على ثلاثة نفر: أولهم عمر بن الخطاب (وذكر أوصافه الكثيرة)، والثاني الحسن البصري (وذكر له أوصافا كثيرة)، والثالث أبو عثمان الجاحظ خطيب المسلمين، وشيخ المتكلمين، ومدره المتقدمين والمتأخرين، إن تكلم حكى سحبان في البلاغة، وإن ناظر ضارع النظام في الجدال، وإن جد خرج في مسك عامر بن عبد قيس، وإن هزل زاد على مزبد، حبيب القلوب، ومزاج الأرواح، وشيخ الأدب، ولسان العرب، كتبه رياض زاهرة، ورسائله أفنان مثمرة، ما نازعه منازع إلا رشاه أنفا، ولا تعرض له منقوص إلا قدم له التواضع استبقاء، الخلفاء تعرفه، والأمراء تصافيه وتنادمه، والعلماء تأخذ عنه، والخاصة تسلم له، والعامة تحبه، جمع بين اللسان والقلم، وبين الفطنة والعلم، وبين الرأي والأدب، وبين النثر والنظم، وبين الذكاء والفهم، طال عمره، وفشت حكمته، وظهرت خلته، ووطئ الرجال عقبه، وتهادوا أدبه، وافتخروا بالانتساب إليه، ونجحوا بالاقتداء به، لقد أوتي الحكمة وفصل الخطاب[1]».

وقال ابن العميد: «إن كتب الجاحظ تعلم العقل أولا، والأدب ثانيا[2]».

وقد ألف أبو حيان التوحيدي كتابا سماه «تقريظ الجاحظ[3]»، وقال في هذا الكتاب: «...[illegible] كلامي أحد ثلاثة: الجاحظ، وعلي بن عبيدة، وأبو زيد البلخي؛ فمنهم من يزيد لفظه على معناه وهو الجاحظ، ومنهم من يزيد معناه على لفظه وهو علي بن عبيدة، ومنهم من توافق لفظه ومعناه وهو أبو زيد».

وهكذا يجعل الجاحظ مكانه [illegible] وقد [illegible] فيه هذه الأقوال التي تعبر عن فضله، وتشيد بذكره، ولكن قد نجد بعض الأدباء

(١) معجم الأدباء ج ١٦ — ٩٧
(٢) وفيات الأعيان ج ٣ — ...، ومعجم الأدباء ج ١٦ — ١٠٣
(٣) معجم الأدباء ج ١٦ — ٩٨

عن البعض من [illegible] ، [illegible] من شأنه كأبي قتيبة ، و[illegible] منصور البغدادي [illegible](١) . [illegible] إلا [illegible] ، [illegible] أحكاماً [illegible] . ليس [illegible] [illegible] للحق [illegible] . واتهموه في دينه وهو من خير من دافع عنه ورد شبهاته وأحسب أن هذا لا يدل إلا [illegible] عامل مغرض تدفعه العصبية المذهبية ، وقد بسط هذه الأقوال و[illegible] الأستاذ « حسن السندوبي » في كتابه « أدب الجاحظ » والأستاذ « [illegible] » في كتابه « الجاحظ معلم العقل والأدب » وسنعود إلى شيء من هذه الأقوال و[illegible] بعد قليل

[illegible] من [illegible] الجاحظ [illegible] واجتهاده في علمه [illegible] في [illegible] و[illegible] مجموعة [illegible] من أمور [illegible]

[illegible] في [illegible] وعلم الكلام

[illegible] — [illegible] علي [illegible] ، وهو [illegible] من شيوخ [illegible] ، [illegible] في [illegible] أن [illegible] في كل [illegible] [illegible] سخاق النظام(٢) » وقال أيضاً « ما رأيت أحداً [illegible] (٣) »

[illegible] كان [illegible] في [illegible] ، [illegible] كان [illegible] على [illegible] في [illegible] و[illegible]

[illegible] الجاحظ [illegible] ، ودافع عنه وناضل من أجله ، وعتمده عاطفته [illegible] ، [illegible] في تقرير المسائل وفهمها وتعليلها بالاعتماد

(١) [illegible] على [illegible] وسرائره [illegible] [illegible] ٧٢ [illegible] البغدادي [illegible] ١٦
(٢) [illegible] ص ٣٩ .
(٣) [illegible] ص ٣

[illegible] من موضوع [illegible] العلم [illegible]

[illegible] فقد كان هذا منهجه دائماً في بحوثه [illegible] المحقق الذي يتأمل وينقد ويتتبع [illegible]

وبدون الإجبار عن البرهان[2]»

[illegible] المفترين ومقولات [illegible] يتهمونه في دينه وهو [illegible]

(١) [illegible]

(٢) الحيوان ج ١ ص ١٦٦ .

الجاحظ وآرائه في علم الكلام [illegible] وفي بعض كتب التاريخ [illegible] انكشفت القناع عن جانب مهم من جوانب هذه الشخصية [illegible] ومن هذه [illegible] الكلامية [illegible] طباع ، وليس شيء من ذلك بأفعال العباد ، وليس للعباد كسب سوى الإرادة [illegible] (١)

[illegible]

[illegible]

[illegible] الأفعال [illegible] إلى الفاعل ، أم أنه لا ينسب إليه إلا الفعل الأصلي فقط ؟ وهو [illegible] ؟ يبدو أن الجاحظ كان يرى أن الأفعال [illegible]

(١) [illegible]
(٢) [illegible]
(٣) [illegible]
(٤) [illegible] تنظر صحيفة [illegible]
١٣٢ [illegible] طبعة

هذا فالمعارف التي يحصل عليها الإنسان ليست من [illegible] لأنه [illegible] يكون بالأفعال [illegible] لا [illegible] الحواس أو [illegible] فمثلا [illegible] شيء أحمر وهذا أصفر ، وأن هذا الشيء [illegible] وهذا [illegible] في هذا [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] لا يجدون [illegible] إلى طبيعة النار ، وكان يقول [illegible] تحت أهلها [illegible] أن [illegible] (١)

ومن [illegible] آراء الجاحظ في مسائل [illegible] وعلم الكلام .

وإن الغرض من هذه الأمثلة اليسيرة أن نعرف كيف كان الجاحظ زعيما لحركة التحرر [illegible] كل شيء إليه ، وكيف استطاع [illegible] مشكلات [illegible] وتمحيصها ، ثم كيف استطاع أن [illegible] « [illegible] المنهجي » الذي نادى به « ديكارت » فيما بعد .

الشك المنهجي بين الجاحظ وديكارت

[illegible] في تاريخ [illegible] الحديث [illegible] الشهيرة [illegible] إلى [illegible] في التفكير [illegible] كل شيء [illegible] هو الفكر ، لأن [illegible] هو مصدر [illegible] فكره نتيجة لإيمانه بأن الفكر هو منبعث الشك ومصدره ، فما دام هناك شك لابد أن [illegible] (٢) »

---

(١) [illegible]

(٢) [illegible]

هذه خلاصة [illegible] للشك [illegible] ، وربما كان هذا المذهب [illegible] قرونا[1] فقد جعل الشك منهجا [illegible] في التفكير ، ووسيلة من أهم الوسائل اللازمة للوصول إلى [illegible] الشك ، وللشك [illegible] في موضع الشك [illegible] يقول فيه : « وبعد هذا فاعرف مواضع [illegible] موضع [illegible] [illegible] علم أن الشك في [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible] اللاحق .

افتراءات المعترين على الجاحظ وتفسيرها :

[illegible] الجاحظ [illegible] [illegible] على رأيه ونظرياته

(١) [illegible] [illegible] عشر وأوائل القرن السابع عشر

(٢) الحيوان ج ٦ ص ٣٥ .

(٣) نفس المصدر .

(٤) نفس المصدر .

[illegible] ... وقد [illegible] ...

[illegible]

[illegible] ... أن هذه الحركة العقلية كانت سباقة أن [illegible]

[illegible]

[illegible] ... من الناس [illegible]

[illegible]

[illegible] ... أراد تنبيههم على ما لا [illegible]

[illegible] ... كذكره كبد الحوت [illegible]

[illegible] ... الحجر الأسود [illegible] ... المشركون [illegible]

[illegible] ... الصحيفة التي كان فيها [illegible]

في الرضاع تحت سرير عائشة فأكلتها الشاة[1] [illegible]

وقد [illegible] ابن قتيبة أن [illegible] الجاحظ [illegible] هو

(١) تأويل مختلف الحديث — [illegible] قتيبة — ص ٧٢

إلا صورة من صور النزعة الفنية في أدب الجاحظ ، لا يريد به استمالة الأحداث وشراب النبيذ ، وإنما هو أحيانا يقصد الخروج عن [illegible]

[illegible]

[illegible] ولم أخله (يقصد الكتاب) [illegible]

[illegible]

[illegible] على ذلك [illegible] في مقدمته ، [illegible] أن ذلك هو ما عاب عليه الجاحظ ؟ أم أنه [illegible]

[illegible]

---

(١) مقدمة عيون الأخبار ج ١ ص [illegible]

(٢) نفس المصدر .

لقد غلا بعض المتحاملين فى التحامل عليه لدرجة أنهم جردوه من إنسانيته ، وعدوا تسميته إنسانا ذنبا وجريمة ، قال أبو منصور البغدادى : « ولو عرفوا جهالاته فى ضلالاته لاستغفروا الله تعالى من تسميتهم إياه إنسانا فضلا عن أن يسموه [illegible] »[1] فى تحمل [illegible] ذلك [illegible] فى [illegible] وأى [illegible] أبا منصور وغيره من [illegible] فى [illegible] على أن [illegible] جردوه من إنسانيته ؟

[illegible] كثير من هؤلاء [illegible] المتكلمين ، رموا الجاحظ [illegible] فى دينه وهو من أقوى الناس [illegible] من [illegible] قدرة الخالق وعظمته ، ورأى فى كل شىء [illegible] على [illegible] الدقيق الغامض ، كما استثار عقله [illegible] من [illegible] وهو [illegible] ولا [illegible] على [illegible] فى كل شىء [illegible] هؤلاء [illegible] يقفون أمام الكون بعقولهم ، [illegible] على [illegible] ونظام [illegible] على [illegible] له ، ولقد عرف الله سبحانه [illegible] دلائل [illegible] النظر إليه ، لنستوجب الإيمان بخالقه [illegible] فى [illegible] والأرض [illegible] »

[illegible] من [illegible] فى [illegible] وما فيه من دلالة على وجود الخالق وعظمته ، ولذا [illegible] عقد فصلا فى كتابه الحيوان تحدث فيه عن « دلالة [illegible] على الله » يقول فيه [illegible] على الله من [illegible] ولا [illegible] على [illegible] على الله من [illegible] ذلك ودقة [illegible] ولم [illegible] الأمور فى حقائقها [illegible] المفكرون فيه[2] »

(١) [illegible] الفرق : لأبى منصور [illegible] ص ٢٦٠ .
(٢) [illegible] ج ٣ ص ٢٩٩

فالجاحظ [illegible] في [illegible] في [illegible] الأشياء ، وأنها [illegible]
وحسنها يدل على وجود الله . [illegible] رجل [illegible]

ولسنا نستطيع [illegible] على [illegible] في نفس الجاحظ [illegible] في
[illegible] وعمق وحكمة [illegible] من [illegible] هذا [illegible]
[illegible] وهو [illegible] كيف [illegible]
والأنثى [illegible] لولدها ، وكيف ينقلان القصب ويشققان الخوص وينسجانه نسجا
متداخلا ، وكيف [illegible] موضع المولد [illegible] ، وكيف
[illegible] البيض [illegible] من [illegible] ، وكيف [illegible]
[illegible] الأولى [illegible] حتى [illegible] كله [illegible]
[illegible] على مكان [illegible] والدلالة : « فسبحان من عرفهما وألهمهما
وهداهما ، وجعلهما دلالة لمن استدل ، وعبرا صادقا لمن [illegible]
[illegible] [1] » .

وهكذا [illegible] لا [illegible]
[illegible]

مصنفات الجاحظ

لا يكاد [illegible]
[illegible]
كل [illegible] في [illegible]
[illegible] في كل [illegible] واحد [illegible]
[illegible]
ذلك [illegible]
[illegible] كل ما [illegible]

(1) [illegible]

من [illegible] والعاطفة ، فإنك لا تكاد تجد بابا من أبواب المعارف [illegible] على [illegible] والجاحظ [illegible] [illegible] ومكان معروف ، [illegible] قوة سحرية [illegible] وراء دلك العقل الجبار ، [illegible] في كل [illegible] للجاحظ [illegible] في [illegible] المعرفة [illegible] يحسن في شيء [illegible] في [illegible] إحساس [illegible] أي شيء [illegible] الجاحظ يحسن [illegible] أي شيء كان الجاحظ لا يحسن[1] ؟ » .

وهكذا [illegible] فانطلقت محلقة في كل [illegible] لا يعرف [illegible] ولا [illegible] من [illegible] ومن [illegible] في كل [illegible] وبه [illegible] على [illegible]

[illegible] الجاحظ [illegible] في [illegible] الجاحظ [illegible] ثلاثمائة [illegible] في [illegible] مائة [illegible] ثلاثمائة [illegible] رأيتها في مشهد الإمام أبي حنيفة[2] » وياقوت في معجم [illegible] الجاحظ [illegible] مؤلفاته [illegible] وعشرين ومائة[3] » [illegible] ابن حجر في لسان الميزان [illegible] أن النديم [illegible] آثار الجاحظ [illegible] « [illegible] النديم [illegible] وهي مائة وسبعون[4] » و [illegible] الجاحظ نفسه في [illegible] عددا من مؤلفاته ، ولكنه لا [illegible] « سبط بن الجوزي » .

---

(١) [illegible] ١٩٥ .

(٢) [illegible] ورقة ٥٨ [illegible]

(٣) معجم الأدباء ج ١٦ — ١٠٦ .

(٤) لسان الميزان لابن حجر ج ٤ — ٣٥٧ .

وثق [illegible] لا [illegible] على عدد [illegible] الجاحظ ، ولكن الذي [illegible] أن الرجل قد نبغ في هذا الباب نبوغاً لا يدانيه فيه أحد قبله أو بعده قال المسعودي : « ولا [illegible] كتباً[1] منه » .

ولكن أين ذهب كل هذا التراث [illegible] من هذه [illegible] لا يتجاوز العشرة ، ليس الجاحظ وحده هو الذي [illegible] مؤلفاته أو معظمها ، وإنما [illegible] أصحاب [illegible] على [illegible] في تاريخ الأدب [illegible] .

[illegible] سلما عظيما من الضيع والاتساع : حتى [illegible] .

[illegible] : فإن هذا القليل الذي بين أيدينا الآن من [illegible] أنفس ما عرفت المكتبة العربية من [illegible] في توجيه الحياة العقلية والأدبية [illegible] لها خصائصها و[illegible] .

ما بقي من آثار الجاحظ

ليس [illegible] في [illegible] كتب الجاحظ ، فذلك موجود في معجم [illegible] ، وفي مقدمة كتاب الحيوان للجاحظ ، ولكننا [illegible]

---

(١) أنظر : أمالي القالي ج ١ ص — ٢٤٨

(٢) مروج الذهب ج ٣ — ١٣٥

فما بقي من تلك الكتب متداولا بين الناس، وهل هي كلها للجاحظ، أم أن بعضها قد دس عليه؟

أما الكتب المتداولة فهي:

كتاب البخلاء، البيان والتبيين، التاج في أخلاق الملوك، وهذه الكتب طبعت مرارا في مصر وغيرها، وهي متداولة بكثرة في أيدي الناس.

وأما الرسائل فهي كثيرة منها:

رسالة الرد على النصارى، رسالة ذم أخلاق الكتاب، رسالة القيان، وهذه الرسائل الثلاثة قد جمعها ونشرها الأستاذ «يوشع فنكل» في كتاب أسماه «ثلاث رسائل لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ».

وله أيضا:

رسالة الحاسد والمحسود، رسالة المعلمين، رسالة التربيع والتدوير، رسالة مدح النبيذ، رسالة صناعات القواد، رسالة النساء، رسالة مناقب الترك، رسالة حجج النبوة، رسالة مسائل القرآن، رسالة الرد على النصارى، رسالة تفضيل النطق على الصمت، رسالة صناعة الكلام، رسالة مدح التجار وذم عمل السلطان، رسالة الشارب والمشروب، رسالة الإماء، رسالة مقالة الزيدية والرافضة، وهذه الرسائل العشرون قد جمعها عبيدالله بن حسان في كتاب أسماه: «الفصول المختارة من كتب الجاحظ».

وله أيضا:

رسالة المعاد والمعاش، رسالة كتمان السر وحفظ اللسان، رسالة في الجد والهزل، رسالة فصل ما بين العداوة والحسد.

وهذه الرسائل الأربع جمعها الأستاذان «محمد طه الحاجري» و«بول كراوس» ونشراها في كتاب سمياه «مجموع رسائل الجاحظ».

وله أيضا

إحدى عشرة رسالة جمعت في كتاب سمي «مجموعة رسائل الجاحظ» وقد

طبع هذا [illegible] في مصر سنة ١٣٢٤ ه ، وفي هذه مجموعة [illegible]
[illegible] رسالتان الباقيتان فهما رسالة
[illegible]
[illegible] ورسالة [illegible]
[illegible] إلى الأوطان ، ورسالة [illegible] الملوك [illegible]
وهذه [illegible] مصورة بدار الكتب المصرية ،
[illegible]
[illegible] المختارة لعبيد الله
[illegible]
في كتاب « الفصول المختارة » اسمها : « رسالة مقالة [illegible]
[illegible]
[illegible] من اسم مما أوحد [illegible]
[illegible]

[illegible]

هل آثار [illegible] ؟

[illegible]

[illegible] واسعة [illegible]

[illegible] كل هذا [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] على الجاحظ وليست له ، وقد وردت هذه

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] ، هذه ثمانية كتب [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] كتبه الجاحظ في مقدمته [illegible]

[illegible]

[illegible] كتاب [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] سنة ١٣٣٢ [illegible] ١٩١٤ [illegible]

[illegible] الجاحظ [illegible]

[illegible] في وجهه [illegible]

[illegible] مقارنة بين تقدمة هذا

[illegible] موضوعان لرجل واحد

[illegible] رجل واحد [illegible]

---

(١) [illegible]

[illegible] كل واحدة [illegible] من أختها ، وبأنه لا [illegible] بينهما ولا [illegible] ربط إحداها بالأخرى [1] .

[illegible] هذه التهمة ، وإذا كانت [illegible] التي [illegible] على أن الكتاب [illegible]

[illegible] كل واحدة منهما [illegible] من أختها ، بل إنهما [illegible] على [illegible]

في التحقق بهذا الدليل :

قال [illegible]

[illegible]

(1) [illegible]

(2) [illegible]

[illegible] من [illegible] في [illegible] ثقل [illegible] مكروه [illegible] قال الأولون [illegible] من [illegible] [illegible] موصوفات [illegible]

وتقول في مقدمة كتاب [illegible] على [illegible]

[illegible] إن الله عز وجل لما خص الملوك بكرامته ، وأكرمهم بسلطانه ، ومكن لهم في البلاد [illegible] وأوجب على عبادهم [illegible]

[illegible] أخلاقهم [illegible] عز وجل [illegible] الأمر [illegible] كانت [illegible] في [illegible] في ذلك [illegible] وأمر [illegible] كل [illegible] عنها وورد كل نافر إليها ، ومنها [illegible] في [illegible] أردشير بن بابك : « سعادة الرعية في [illegible] الأمر ، والرعية [illegible] هذا [illegible] أخلاق الفتيان وفضائل أهل الطاعة ، وكان غير ذلك أولى بنا وأحق في مذهبنا وأحرى أن نصرف عنايتنا إلى ما يجب للملوك من [illegible] أخلاقهم [illegible] الله على [illegible] في [illegible] الدين ... الخ » .

[illegible] في [illegible] من [illegible] أسلوبهم من [illegible] وهل [illegible] على [illegible] أحبها ؟ الحق أن [illegible]

لا يكاد يوجد شيء من هذه [illegible] في كتبهم على [illegible] [illegible] في تلك [illegible] [illegible] [illegible] فيه [illegible] في [illegible] [illegible] صور مختلفة ، وما إلى ذلك من [illegible] [illegible] . ونحن إذا سلمنا جدلا بأن بين القسمين [illegible] في [illegible] ؛ فإن ذلك وحده لا ينهض دليلا على صحة ما ذهب [illegible] الكتاب على الجاحظ ، [illegible] لأن الخصائص [illegible] أحيانا في بعض كتاباته حتى ليخيل إليك أنها [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] دون سواه ، [illegible] لأنه إذ يصح [illegible] كل [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] ولم يكن للجاحظ سوى البيان [illegible] ذلك عبثا وادعاء وعدوانا .

الترتيب التاريخي لمصنفات الجاحظ

[illegible] مصنفات الجاحظ في [illegible] من النصوص الصريحة أو الأدلة [illegible] بكتابة التاريخ لكتبه ؛ بل كان [illegible] ، كما [illegible] أن نستعين في هذا الصدد بالكتب نفسها من ناحية طابعها الإنشائي والتأليفي لأن المنهج الكتابي العام لم يكد يختلف كثيرا من كتاب إلى آخر إلا بالقدر الذي [illegible]

أسلوب الجاحظ؟ فإنما نحسبها [illegible] وعامة كتبه الكبرى كالبيان والتبيين والبخلاء [illegible] — فأكبر الظن أن [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الكامل الذى [illegible] من الإتقان والإجادة ، يدلنا على هذا [illegible] فى كتب الجاحظ وغيره ، يقول [illegible] [illegible] تلك العلة الشديدة[1] » ويقول الحصرى : « ومن إحدى [illegible] الفالج الذى أصابه . فهذان النصان [illegible] [illegible] [illegible] من كتبه ، منها كتاب البخلاء فيقول [illegible] [illegible] فى [illegible][2] [illegible] فى كتابه [illegible] الدليل على أنه قد ألف أيضا كتاب البخلاء بعد [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] عشاء[4] ... الخ » فهذا أيضا يدل على أنه ألف كتاب البخلاء [illegible] ولكن يبدو أن هذا كان فى أوائل علته [illegible]

(١) [illegible]

(٢) [illegible]

(٣) [illegible]

(٤) [illegible]

[illegible]
قوله في البيان : «كانت العادة في كتب الحيوان أن تجعل في كل مصحف من
مصاحفها عشر ورقات من مقطعات أشعار [illegible]
[illegible] في ذلك [illegible] (١)
[illegible] ثلاثة [illegible]
[illegible]
الحيوان، ثم كتب [illegible] ولا غرابة في هذا، فإن الجاحظ قد [illegible]
أصيب بالفالج (٢) ما يقرب من اثنين وعشرين عاماً، حيث إنه مرض سنة ٢٣٣ هـ
ومات سنة ٢٥٥ هـ [illegible]

[illegible]
الجاحظ نقداً موضوعياً إلا بالقدر الذي نحتاج إليه في تقرير الغرض من هذا البحث؛
فذلك عمل [illegible]
[illegible] الأسلوب [illegible] من حديد في [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

---

(١) [illegible]
(٢) [illegible] الحيوان — للأستاذ عبد السلام هارون [illegible]

الفصل الثانى

النثر الفنى عند الجاحظ

تمهيد

[illegible] والأجيال اللاحقة جيلا بعد جيل ، كان الجاحظ [illegible] تتنقل فى دقة وإحكام [illegible] ناطقة [illegible] ذلك الوجود

[illegible] يكد يدع الجاحظ بابا من أبواب المعرفة الإنسانيــــة [illegible]

[illegible] في ذلك [illegible] ، وهذا
نقول في [illegible] في صفحة [illegible] من معارف ؟ وفي [illegible]
وبيانه على معظم ما تمخض عنه الفكر البشري [illegible] من علوم وآداب [illegible]
لا شك [illegible] في [illegible] من [illegible] ، لا [illegible]

[illegible] ، [illegible] ، [illegible] ، [illegible]
[illegible] ، [illegible] ، وثروتك سخريته ،
[illegible] ، [illegible] ، [illegible] بعد ذلك [illegible] من [illegible]
[illegible] ، [illegible] ، [illegible] بكل ما [illegible]
عندك من [illegible] بكل ما [illegible] من علم وأدب .

لقد [illegible] في [illegible] ، [illegible]
و [illegible] ، [illegible] ، والأخلاق ، [illegible]
والاجتماع ، والأصول [illegible] ، [illegible] ، [illegible]
والنحو [illegible] ، [illegible] ، [illegible]
و [illegible] ، [illegible] ، [illegible]
جميعها في سلك من رائع بيانه [illegible] ، [illegible] آية دهره
ومعجزة أيامه .

[illegible] في [illegible]
[illegible] في ذلك [illegible] في [illegible]
من غير أن يدخل عليها ما يمسخ طبيعتها ، أو يشوه [illegible] هو سر
في روعة بيانه وجمال فنه .

[illegible] بكل ما [illegible] من [illegible] ، [illegible]
من [illegible] في [illegible] ، [illegible]
و [illegible] في كل [illegible] ، [illegible]
[illegible] ، [illegible] ؟ ومن [illegible]
[illegible] ، [illegible] ؟ [illegible] لا [illegible] ، [illegible]

[illegible] لا يدرى أبها يأخذ وأيها يدع ، [illegible] لم يكد يحتل مكانه الواسع [illegible]

[illegible] على يد عبد الحميد بن يحيى ، وعبد الله بن [illegible] ، وأن هؤلاء النفر الثلاثة قد لعبوا دورا [illegible] وجهة جديدة من حيث شكله وموضوعه ، [illegible]

[illegible] كل هؤلاء [illegible]

[illegible]

سلطة فى نثر الجاحظ

[illegible] كلمة [illegible] ، وعمل من [illegible] دقة فى [illegible] كلمة [illegible] ليس هو فى مجموعه إلا طائفة من [illegible] كان مصدر الجمال فى باقة الزهر مثلا إلى [illegible] فى [illegible] الزهور [illegible] ، ووضع كل واحدة منها فى المكان الذى يناسبها [illegible] : فإن مصدر الجمال فى العمل

[illegible]

[illegible] لهذه الإيحاءات ؛ فيبدو ما بين الكلمات [illegible]

[illegible] « Anatole France » وهو يتحدث عن [illegible]

[illegible] الشعب الأول في [illegible]

[illegible]

(١) [illegible]

(٢) [illegible]

لقد كان [illegible] يتحدثون [illegible] ويتأنقون في صوغها ورصفها
ولكن ذلك كان [illegible] في الحدود التي تسمح بها استعداداتهم وثقافتهم في [illegible]
ومعرفتهم بها؛ فلم يبلغوا في هذا السبيل ما بلغه الجاحظ. إن الجاحظ كان فوق [illegible]
[illegible]
[illegible] على أن [illegible] التي [illegible]
في [illegible]
[illegible] في كل [illegible] وفي كل محل [illegible]
ولا [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
والشرة والجشع والطمع [illegible]
[illegible] والدرة واللقمة والمثقال والادخار والاحتكار والتقتير والحذر، وما إلى
ذلك من الألفاظ المتصلة بحياة البخلاء ونفوسهم. وإذا وصف أعضاء الجسم
أعطى كل عضو الصفة التي تناسبه، فيصف أحمد بن عبد الوهاب في رسالة التربيع
[illegible] الأطراف [illegible]
[illegible] في ذلك [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] كل ذلك من [illegible] تكلم عن الحيوانات وعن [illegible]
[illegible] كذلك [illegible] على أن [illegible] كل [illegible]
[illegible]
[illegible]
متصل بعالم الحيوان.

[illegible] والشروط والوثائق ، ثم يصل الشك [illegible] ، وسعرف (١) [illegible]

وهكذا [illegible] الشك الجاحظ في هذا [illegible] جر وحركته وحسنه ،

[illegible] ، وكيف اختلف

[illegible] ، وهو في [illegible]

[illegible] هذه

[illegible]

[illegible] ، وكل كلمة

من [illegible] كلمة

من [illegible]

عن [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] مظاهر النزعة العقلية الملائمة التي كانت

[illegible] هذا كله [illegible]

[illegible] إلى ذلك أيضاً —

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] هذا [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] من الحديث [illegible] من [illegible] ، ولكل

[illegible] للحقيقة ، و [illegible]

[illegible] في موضع الإفصاح ، و [illegible] في موضع [illegible] ، والإسهاب في

(١) [illegible] ٣ — ٣٤٣ — ٣٤٤

[illegible]

[illegible] أن يتوفر لها ما يحقق الأغراض [illegible] الأدنى عند الأديب المتمرس ، ولا [illegible] ، وإلا صار الحديث الذي [illegible]

[illegible] وخرج من سماجة الاستكراه ، وسلم من فساد التكلف ، كان قمينا [illegible] وجعل على ألسن الرواة ، وشاع في الآفاق ذكره ، وعظم في الناس

[illegible]

[illegible] خلقة كاملة [illegible]

عليه بالجمال وقوة الأسر ، لأن [illegible] يكن [illegible]

[illegible]

[illegible] الجاحظ السجع أو الازدواج أو التوازن [illegible]

[illegible] لأنه كان يكتب [illegible]

[illegible]

السجع :

[illegible]

[illegible] يقول في وصف القرآن [illegible]

[illegible] قائم بالحلال [illegible]

الحق والباطل ، وحاكم يرجع إليه العالم والجاهل [illegible]

[illegible]

[illegible] هذا النوع من السجع هو الذي يقصده الجاحظ [illegible]

[illegible]

[illegible]

ولعمري لقد كان غير هذا الدعاء أصوب في أمرك ، وأدل على مقدار ورعك ، وعلى [illegible]

[illegible] هذه الجمل الرائعة [illegible]

[illegible]

[illegible] في النفس ، ومع ذلك فهي ليست مسجوعة [illegible]

[illegible]

[illegible]

الوسيقى الصوتية ، وفي بعضها الآخر [illegible]

فلا نرى فيها ذلك [illegible]

[illegible]

لا سجع فيه ولا ازدواج ولا تقطيع [illegible]

[illegible] أن موضوع الكتابين مما يستدعي الأداء

[illegible]

[illegible] الفلسفية ، وغيرها مما ساد [illegible]

[illegible]

قد أخضعت لها مجالات القلم [illegible]

[illegible]

٣ - [illegible] العالم والفلسفة [illegible] الأولى

وها هو ذا يبحث مشكلة من مشكلات [illegible] السكون وعمارة الأرض [illegible] أحدها بالسيادة من دون [illegible] شعوره بشيء من [illegible] ودقتها ، كما يعطيك الفن الأدبي في [illegible] المصلحة في أمر اهتداء الدنيا إلى اقتصاد مدنها ، [illegible] والمكروه بالسار ، والضعة بالرفعة ، والسكرة [illegible] ، ولو كان الشر صرفا هلك الخلق ، أو كان الخير محضا سقطت المحنة ، وتقطعت أسباب الفكرة ، ومع عدم الفكرة يكون عدم الحكمة ، [illegible] الخير ، ولم يكن [illegible] في بيان ، ولا تفاضل في درجة ، [illegible] ظهرها حتى يجد عز الحق [illegible] أصح [illegible] كيف الطمع لم يعرف كيف اليأس ، [illegible]

[illegible]

[illegible] على كل شيء [illegible] أكبر [illegible] حتى [illegible]

[illegible] عبقرية الجاحظ التي لا تعرف الحدود ولا القيود ، قد [illegible] هذا الكتاب [illegible]

[illegible]

[illegible] في عصر [illegible] إلا أن [illegible] كما [illegible]

[illegible] في كل شيء [illegible] أن [illegible] أو [illegible] في [illegible]

[illegible] هو كان في [illegible] [illegible]
[illegible] الأخلاق [illegible]
[illegible]
والأحياء، كتب فيه الجاحظ بعقل العالم [illegible]، ولقد لفتت هذه القدرة
[illegible] وهو
[illegible] « Baron Carra de Vaux » في [illegible]
« مفكرو الإسلام » [illegible] الجاحظ، ويشيد بعقريته [illegible] على الإحاطة بشتى
الموضوعات؛ فقال بعد أن [illegible] من كلامه على [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] من موضوع [illegible] حلقة حتى لكأنها [illegible] (1) »
وهذا [illegible] « البارون » في الحديث عن الجاحظ يثبت الروح [illegible]
[illegible]

[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible] الجاحظ في موضوعي الحيوان [illegible]

[illegible] من الموضوعات التي [illegible]

(1) Carra de Vaux, Les penseurs de l'Islam Vol. 1 p. 295

[illegible] (١)

[illegible] — [illegible] الذي [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] لا [illegible] الحقيقة .

[illegible] — [illegible] بين [illegible] و [illegible] فقد كان كل [illegible]

[illegible] على [illegible] لآخر [illegible] الاختلاف

[illegible] كل [illegible] الآخر

[illegible] عن [illegible] ولم [illegible]

[illegible]

[illegible] موضوع [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] من [illegible] و [illegible]

[illegible] من [illegible] وهو [illegible] البخلاء .

[illegible] هذه [illegible] و [illegible] من [illegible]

في موضوعي [illegible] والبخلاء على الرغم من [illegible] وقصورهما واختلاف [illegible]

[illegible] وجهت الجاحظ وأعانته على تناول هذين الموضوعين

ولكن [illegible] على [illegible] و [illegible] في تحقيق

[illegible] الذي لا [illegible] عرض [illegible] أو [illegible] في هذا [illegible] الخالص

الذي [illegible] به [illegible] للجاحظ من فضل [illegible] لأنه [illegible]

[illegible] ذلك

(١) [illegible] المذكور [illegible] ص ١٧

[illegible] من ثلث وأربعة [illegible] كل ما كتب [illegible] في تاريخ [illegible] وجعلته يجي إماما لطور جديد في [illegible] موضوعي [illegible] والمعلاء [illegible] كثيرا من الموضوعات [illegible] ياقوت في معجم الأدباء[1] بل وذكره الجاحظ نفسه في مقدمة كتاب الحيوان [illegible] على انفساح عبقرية الجاحظ، وإحاطتها بكل شيء، وأنه لم يكد يترك موضوعا إلا [illegible] فيه كتاب أو رسالة

[illegible]

٦ — المعاني في نثر الجاحظ :

[illegible] ودراساته الطويلة، وحياته الناعمة [illegible] خصيب من المعاني المتنوعة التي لا تحد [illegible] إلى [illegible][2] [illegible] في عصر [illegible]

[illegible] المعاني جانب مهم من جوانب العمل الأدبي [illegible]

---

(١) انظر معجم الأدباء ج ٦ — ١٠٦ .

(٢) البيان والتبيين ج ١ [illegible]

[illegible] الأدبي من نجاح وقوة ، وبقدر ما تدل هذا العمل من الدقة [illegible]

[illegible] في أعماق الكائنات ، واستبطان [illegible]

مذهب الجاحظ النظري في المعاني :

[illegible]

[illegible]

من المعانى القوية الرائعة ما يكون ماثلا فى النعى ، ولكنه يفقد قوته و [illegible]

[illegible]

وحشية ، ومحرومة مكروهة ، وموجودة فى محل معدومة ، لا [illegible]

[illegible] صمير صاحبه ، ولا حاجة أخيه وخليطه ، ولا [illegible]

على أموره ، وعلى مالا يبلغه من حاجات نفسه إلا [illegible]

[illegible] وهذه الخصال هى [illegible]

[illegible]

[illegible] ويدعو إليه ويحث عليه [illegible]

تفاخرت العرب ، وتفاضلت أصناف الأعجام[1] »

[illegible]

[illegible] ولقد [illegible]

[illegible] فى البحث والتفكير ، إذ المعروف

[1] [illegible]

أن [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

مظاهر التجديد في معاني الجاحظ

[illegible]

ما يصادفنا من هـــذه المظاهر [illegible]

[illegible]

[illegible]

وتجاربه العميقة ، ومشاهداته المتنوعة ، [illegible]

[illegible]

فإنك ترى في هذه الرسالة [illegible]

كانت خصوبة مادته [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

وأن هذه الأمور هي خصائصك التي بها تكلف ، [illegible]

وإنما يحمد — أبقاك الله — المرء [illegible]

[illegible]

ويجري [illegible] أن هذه [illegible] حاجة لك معسورة [illegible]
[illegible] ولا [illegible] وأن لك الكل والناس البعض ، وأن
[illegible]
[illegible]
الذي قد اعتراك ، وما هذا الهم الذي أضناك ، وهل [illegible]
[illegible]
[illegible]
ردت على أن أطمعت في نفسك ، ومكنت الشبهة في أمرك [illegible]
[illegible]
[illegible]
المصادر ، فاعلم لم تسالمت النفوس مع [illegible]
مراتبها ، ولم اختلف الكثير [illegible]
والقلة سببا للتناصر ، وما فرق ما بين المداراة والتحاسد [illegible]
فإنك إذا عرفت ذلك استرحت منا وريحت [illegible]
(السا) من يجهل السبب ، وكيف يعرف [illegible]
يعرف الحجة من الشبهة ، والعذر من الحيلة [illegible]
من الموهوم ، والمحال من الصحيح ، والأسرار [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] (١)

[illegible]
[illegible]
[illegible]

(١) [illegible]

[illegible] من تلك المعاني الكثيرة.
[illegible]

[illegible] أجورهم
[illegible] كل شيء
[illegible] فكل معاني هذه الحياة
[illegible]
أعماله وآماله.

[illegible]
[illegible] أم عقلك ، وليس متعما بعيش مع الوحدة ، ولابد من
[illegible] الاستبدال [illegible] على المكروه ، فإذا صفا لك [illegible]
[illegible]
[illegible] الأول [illegible] ذلك

سبيل أهل الجهالة مع ما هم من الدناءة ، وسوء التدبير وزهد الأصدقاء جميعا في إخائك والله يوفقك[1]

[illegible]

[illegible]

[illegible] حسب الأمور [illegible] احكامه [illegible] الدين والدنيا ، فالصدق والوفاء [illegible] الحلم توأمان ، فيهن تمام كل دين وصلاح كل [illegible] كل [illegible] [1].

[illegible] آثار الجاحظ [illegible] وحللها [illegible] على هذا [illegible] الاتصال بنزعته الفنية مما جعل نثره [illegible] وما من شك في [illegible] الجاحظ ، فقد كان الكتاب قبله [illegible] [illegible] ما شاء في الاتساع والعمق [illegible] [illegible] في عصره ، فشكل هذا وما إليه قد سخر بين يديه عالم المعاني ينتج منه كيف شاء على نحو ما رأينا.

[illegible] الجاحظ قد خطا بالنثر [illegible] في ناحية شكله.

٣ — الاتجاه الواقعي في نثر الجاحظ

[illegible] والأدب [illegible]

[1] [illegible]

[illegible] كل [illegible]

من أعماق [illegible] ولا [illegible]

ناحية [illegible]

[illegible] مجروحة بإحساسه وشعوره ، أما هؤلاء

الأدباء الذين تقطعت أسباب الصلة بينهم وبين الناس ، فلا يعيشون إلا في [illegible]

ولا يعبرون إلا عن أحاسيسهم وعواطفهم [illegible]

عن [illegible]

[illegible]

[illegible]

يهدف إليها وجود الإنسان .

ولا [illegible]

[illegible]

[illegible]

مثلا : الكاتب أو الشاعر [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] فهو بذلك أيضا

[illegible]

نرى أن كثيرا من التجارب الخاصة للأديب [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

ومن هنا [illegible] وبين الناس .

وإذا [illegible] على الأدب العربي — شعره ونثره —

[illegible] حيث أحد [illegible] هذا الأدب [illegible] على [illegible] العاطفية الخاصة التي لا [illegible] ويتحدثون [illegible] لتحقيق أهم [illegible] من الأدب [illegible] هذا [illegible] مدى [illegible] من شئون [illegible] خاصة ، [illegible] أحداثه ، [illegible] مشكلاته ، [illegible] من الأدب الذى صنعته العواطف الخاصة من مدح [illegible] ، وفخر وهجاء ، واستعطاف واعتذار ، [illegible] لا يمكن أن تتصل إلا بحياة [illegible] ولا [illegible] أو الشاعر الموهوب ينفق [illegible] في مدح [illegible] لا رغبة في [illegible] في الممدوح [illegible] في [illegible] الإنسان حتى يرتفع به [illegible] عليه [illegible] حتى [illegible]

[illegible] تحدث الأستاذ « عمر الدسوقى » فى كتابه « النابغة الذبيانى » عن [illegible] [1] [illegible] والرزق ، وبين فى ثنايا حديثه الأضرار التى [illegible] فقال : « والسنة التى سنها النابغة أضرت [illegible] لأنها جعلت الشعر العربى [illegible] يتزلق فى مهواة [illegible] أن يفتقوا فنونا جديدة فى الشعر [illegible] بكل عبقريتهم [illegible] على كل [illegible] من [illegible] حتى [illegible] والأمراء [illegible]

---

(1) [illegible]

يهمون بذكر المال مارسوه[1] [illegible]

في كثير من الأحيان [illegible]

وعلى أية حال [illegible]

أن نقرر أن الغاية التي ينبغي أن يتجه إليها الأدب هي [illegible] والأغراض الإنسانية والاجتماعية العامة، [illegible]

[illegible]

[illegible] لدى سالكوه ودعوا إليه ، فربط بينه وبين الحياة رباط قوى وثيق و[illegible] من وقائعها وأحداثها التى شغفها وفهمها [illegible] فى [illegible] أو [illegible] صورة [illegible] [illegible] كل [illegible] ، ومن [illegible] هذا [illegible] ، ونستطيع [illegible] مظاهر [illegible] زعماء المدرسة الواقعية فى أوربا لم يصنعوا شيئاً أكثر مما صنعه الجاحظ قبلهم .

[illegible] أن الجاحظ كان [illegible] كما يراها وكما يحسها ، و[illegible] ذلك أن [illegible] الشيء [illegible] [illegible] حتى [illegible] سجلا [illegible] [illegible] طبيعة حياتهم ومعنى وجودهم ، يرون فيها [illegible] الحق وظلمة الباطل ، [illegible] اللذة وعذاب الألم ، [illegible] [illegible] [illegible] هذا وغيره مما هو متصل بهم [illegible]

[illegible] كل [illegible] ومدم مبالاة ؛ فلقد أتاحت له هذه الحرية [illegible] حراً فى [illegible] فهو يفكر كما يشاء ويعبر كما يشاء دون ضغط أو تقييد ، ولذلك فإنه نقل [illegible] واضحة كاملة من حياة عصره من أخلاق [illegible] [illegible] كل شيء على حقيقته

١) مظاهر الواقعية فى نثر الجاحظ :

ومن مظاهر الواقعية فى نثر الجاحظ ، أنه لم يتحاش فى الصور [illegible]

في [illegible] حين [illegible] أو [illegible] وقد كان يعتمد في ذلك على الحس والوجدان، فيصيب [illegible] ألفاظ حقيقية مباشرة يبرز لك معنى في جلاء ووضوح [illegible] التشبيهات والاستعارات والكنايات [illegible]

[illegible]

[illegible] معالم الحقيقة [illegible]

[illegible]

[illegible] يظهر بوضوح مقدرة الجاحظ على الإلمام بأطراف الحقيقة والتعبير عنها [illegible] إليه يقول: «كان لنا بالبصرة قاض يقال له عبد الله بن سوار [illegible] قط، ولا [illegible] ولا [illegible] ولا وقوراً حليماً ضبط من نفسه، وملك من حركته، مثل الذي ضبط وملك، كان يصلي الغداة في منزله وهو قريب الدار من مسجده، فيأتي مجلسه فيحتبي ولا يتكئ، فلا يزال منتصباً لا يتحرك له عضو ولا يلتفت ولا يحل حبوته، ولا يحول رجلاً على رجل، ولا يعتمد على أحد شقيه حتى كأنه بناء مبني أو صخرة منصوبة، فلا يزال كذلك حتى يقوم إلى صلاة الظهر، ثم يعود إلى مجلسه فلا يزال كذلك حتى يقوم إلى صلاة العصر، ثم يرجع لمجلسه فلا يزال كذلك حتى يقوم لصلاة المغرب، ثم ربما عاد إلى محله بل كثيراً ما كان يكون ذلك إذا بقي عليه من قراءة العهود والشروط والوثائق، ثم يصلي العشاء (الأخيرة) وينصرف [illegible]

[illegible] ولا [illegible]

ولا [illegible] ولا [illegible] في طوال الأيام وفي قصارها

وفي [illegible] وفي شتائها ، وكان مع ذلك لا [illegible] يده ، ولا يشير برأسه وليس إلا أن

يتكلم (ثم يوجز ويبلغ بالكلام اليسير المعاني الكثيرة) فبينا هو كذلك [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] واحرقه ، وقصد إلى مكان لا يحتمل [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] من أن ينحي عن جبينه بيده فسل وعيون القوم إليه

[illegible] فنحى عنه بطرف ردائه وسكنت حركته ، ثم عاد

إلى موضعه ، ثم ألحقه إلى أن دب من وجهه طرف كمه ، ثم ألحقه إلى أن تابع

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] لا [illegible]

[illegible] فصول الكلام ، وكان مهيبا في أصحابه ، وكان

[illegible] في نفسه ، ولا في [illegible] أصحابه للسائلة[1] » .

---

(١) [illegible] ٣٤٣ - ٣٤٤ [illegible]

من [illegible]

ومهما يكن من أمر هذا الاتجاه سواء أكان عند الجاحظ [illegible]
[illegible]
الذوق العام دخلا كبيرا في تقدير [illegible] الأدبي، فلا بد إذن من أن يكون لهذا
الذوق اعتبار في الأسس التي [illegible] هذا الإنتاج، وإلا فإنه سيفقد عنصرا
مهما من [illegible]
من التصريح، واستعمال الكناية [illegible]
الجاحظ نفسه أحيانا يستخدم في هذا السبيل [illegible]
أقرب إلى الذوق وأدعى إلى [illegible]

« أشهد أن [illegible]
[illegible]
[illegible] عماد الفلاتي، ثم عمدت إلى
[illegible]
لي وللجارية إذا مر مغضبا [illegible] الرحال و [illegible]
كالخيوط وكالقطن المندوف صمائم لرءوس القوارير[1] »

فالحيلة التي استخدمها [illegible]
[illegible]
واضحا كاملا، ولكنها غير متجاوزة [illegible] ذوق [illegible]
التي استخدمها في حديثه عن الوصف [illegible]
متجاوبة مع ذوق [illegible] في
الأدب مهما كان [illegible] من أن للذوق
العام أثره في تقويم العمل الأدبي.

---

(١) البخلاء، تحقيق الحاجري ص ٩٣.
(٢) [illegible] ج ٣ — ١١٤ و ١١٥ و ٢١٦

[illegible] مصر [illegible] [1] »

[illegible]

[illegible]

[illegible]

ومن مظاهر [illegible] في [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] يقول في ذلك :

« [illegible] واستعمل [illegible]

[illegible] من العفاف والكرم والنبل

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] الأدبية والتعبير الأدبي ، ولو تعارض

ذلك مع قيود المجتمع أو قوانين الأخلاق ، لأن الأدب فن جميل يجب أن يتحرر

(1) [illegible]

[illegible]

[illegible] التصحيح في مثل هذه المقامات يكون أجمل [illegible]

[illegible] وجعلت ما لا وجه له [illegible]

[illegible]

[illegible] وإنما نحن نصيب حاجة الرجال [illegible] أصحا كاملا ، ولكنها [illegible] متجافيه مع الذوق ، نابية عن العرف ، ولا يسوغها [illegible] الأدب مهما كانت قيمة هذا الاتجاه ، وذلك لسبب الذي [illegible] العام أثره في تقويم العمل الأدبي

(١) العلاء ، تحقيق عامري ، ص ٩٣ .

(٢) راجع ، البيان ج ٣ — ١١٤ و ١١٥ و ٢١٦

[illegible] ، ومتخشعين صاحب ضلالة ، وكأنه عاشق معشر أو حالم مغرور (١) »

فهذه هي الأخرى صورة رائعة من [illegible] الذي [illegible] فيه [illegible] ؛ لقد استطاع الجاحظ بهذه الأوصاف أن يحصر في [illegible] صورة الرجل وهو يأكل حتى [illegible] وحشته في الطعام

ومن مظاهر الواقعية في نثر الجاحظ :

أنه صريح بالألفاظ [illegible] أو ما هو [illegible] يستدعي المقام ذلك وإذا [illegible] كتبه [illegible] في كتاب [illegible] ، لوجدت أنه صرح كثيرا بألفاظ لم يبح العرف الاجتماعي استعمالها

وقد أحس الجاحظ [illegible] من [illegible] مثل هذه الألفاظ وأن كثيرا من الناس يتحشمون [illegible] ، [illegible] كان [illegible] ، يقول في ذلك

« وبعض الناس إذا انتهى إلى ذكر [illegible] ارتدع وأظهر [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] لا يعدو هذه الأشكال [illegible] ولا على أنه مستعمل ، وبداءة متمكنة (٢) »

ويبدو أن هذه النزعة الواقعية عند الجاحظ قد [illegible] على هذه الاعتبارات فهو يستعمل كل كلمة في موضعها ، ويضعها في موضعها ، [illegible] ذلك [illegible] [illegible]

وهذا الاتجاه حديث في الأدب ، [illegible] كبيرا في كثير من الأوساط الأدبية في أوربا ، وعرف باسم الأدب المكشوف ، ويقوم هذا الاتجاه في خلاصته على الحرية المطلقة في التفكير الأدبية والتعبير الأدبي ، ولو تعارض ذلك مع قيود المجتمع أو قوانين الأخلاق ، لأن الأدب فن جميل يجب أن يتحرر

(١) البخلاء ج ١ ص ١٤١ و ١٤٢ ط دار الكتب المصرية .
(٢) [illegible]

[illegible]

قال : « يا [illegible] لأن [illegible]

[illegible]

« والله إني أروى من الماء ، وما أظن أن في الدنيا أحد [illegible] » [illegible]

(١) البخلاء ، تحقيق الحاجري ، ص ١٠٤

[illegible]

[illegible]

[illegible] في مقدمته لكتاب نقد النثر[1] أن الأدب [illegible] من تعمقوا الفلسفة اليونانية وطالعوا [illegible] على البيان اليوناني لعهدهم ، ونحن لا نستبعد [illegible] اليونانية ، قد اطلع أيضا على مذهب [illegible]

والفلسفة قد ترجمت إلى [illegible]

[illegible]

السفسطائيين عن طريق مباشر أو غير مباشر ، أو أنه لم يتأثر [illegible] وأخضعها في كل سبيل ، كما دل على [illegible] العاطفة عليها مع مناقضتها أحيانا .

وعلينا الآن أن نستعرض صورة من جدل الجاحظ [illegible] له في كل مجال وفي كل مذهب .

(١) أنظر مقدمة كتاب نقد النثر [illegible]

(٢) أنظر تاريخ الفلسفة في الإسلام : تأليف دي بور ، وترجمة محمد أبو ريدة ص ١٩ وفجر الإسلام للأمين ج ١ ص ٢٧٥

[illegible] ، والذي [illegible] [illegible] من موضوع إلى موضوع ، ويخرج من فكر إلى فكر ، ويعود من باب [illegible] في الفلسفة ، إذا به يتركها [illegible] ذلك حتى [illegible] وصوفه ، وهو في خلال [illegible] عليك [illegible] .

[illegible] ، [illegible] أحداً من الكتاب الذين سبقوه كان [illegible] الآثار الهندية التي نقلت إلى اللغة العربية مثل [illegible] ترجمة ابن [illegible] ولكن هذا لا [illegible] [illegible]

[illegible]

الفصل الثالث

أثر الجاحظ فيمن جاء بعده من الكتاب

مقدمة

قد قررنا في بداءة الفصل السابق [illegible]

[illegible] ، ورعيا لنهضة أدبية [illegible]

[illegible]

[illegible] كنا نقصد تلك الآثار العميقة التي [illegible]

[illegible]

[illegible] وصفت [illegible] كل من [illegible] مجالس العلماء والأدباء على اختلاف [illegible] في كل [illegible] في [illegible] .

وإذا كانت [illegible] في [illegible] من [illegible] جهة مختلفة ، فقد كانت كتب الجاحظ إحدى هذه العوامل القوية [illegible] بوجه خاص في [illegible] في [illegible] .

ولقد حاولنا في الفصل السابق أن [illegible] الجاحظ ، وأن نتلمس مظاهر [illegible] على ضوء دراستنا لنصوص [illegible] وقد انتهت بنا هذه المحاولة إلى أن الجاحظ كانت له شخصية [illegible] ، وأنه قد استطاع أن [illegible] .

[illegible] الكتاب بطريقته التي [illegible] هذا الفصل ستقتصر [illegible] الجاحظي [illegible] هؤلاء [illegible] .

ولقد يتبادر إلى الذهن أن آثار الجاحظ في النثر قد انتهت إلى حدود [illegible] من عصره ، ولكننا [illegible] وصلت إلى عصرنا الذي نعيش فيه ، [illegible] على سبيل المثال [illegible] ، الأستاذ مصطفى صادق الرافعي ، الأستاذ عبد [illegible] ، الأستاذ عباس [illegible] ، الأستاذ أحمد

الأدب [illegible] هؤلاء [illegible] قد تأثروا [illegible] وكثير من [illegible]

[illegible] أن الجاحظ كان له في كل عصر [illegible] على منواله ، ولئن كانت وطأة الفساد قد اشتدت على الأدب العربي في عصوره [illegible] حتى [illegible] تكاد لا غناء فيه ، إلا أن حركة [illegible] الأدب [illegible] النهضة الحديث قد ردت إلى الأدب [illegible] من [illegible] أكثر من [illegible]

وعلينا الآن أن نتحدث عن [illegible] ممن عاصروه أو جاءوا بعده ، فإن الآثار الواضحة القوية [illegible] هؤلاء [illegible]

[illegible] من هؤلاء [illegible]

[illegible]

ابن قتيبة (٢١٣هـ — ٢٧٦هـ)

[illegible] عيون الأخبار » الذي ألفه ابن قتيبة [illegible] أن نرى [illegible] بالجاحظ في النواحي الآتية :

---

(١) [illegible] الأدب [illegible] للأستاذ [illegible] « الجزء الأول »

١ – الموضوعات

[illegible] أحد [illegible] في مقدمة [illegible] في هذا الكتاب عشرة [illegible] هي كتاب السلطان [illegible] كتاب [illegible] كتاب [illegible] كتاب الإخوان [illegible] كتاب [illegible] كتاب [illegible] كتاب [illegible] هذه هي [illegible] من مجموع [illegible] عيون الأخبار.

[illegible] الإخوان [illegible] في [illegible] ولكن [illegible] نجد بينها هي الكتب [illegible] عيون الأخبار، والذي لم نجد من [illegible] الزهد، كتاب الطبائع والأخلاق، كتاب [illegible] فهو [illegible] في [illegible] [illegible] لك[2] [illegible] في كتاب [illegible] كتاب الزهد[4] [illegible] عن أقوال [illegible] في كل هذه [illegible] ذكرها أي قصة.

---

(١) أنظر . مقدمة عيون الأخبار ص ع

(٢) أنظر [illegible] ج ١٩ [illegible] ٦ [illegible]

(٣) مقدمة عيون الأخبار ص [illegible]

(٤) أنظر [illegible] البيان والتبيين ج ٣ — ١١٣

[illegible] الأخلاق من الحسد والقية والسعاية [illegible]

[illegible]

[illegible] المشاكلة لتلك الأخبار (٢) » .

[illegible]

الجاحظ .

[illegible]

---

(١) [illegible]

(٢) [illegible]

٢ [illegible]

[illegible]

[illegible] ومن هنا نرى أن ابن قتيبة يسلك هذا المسلك ، ويذهب مذهب [illegible]

[illegible] كتابنا هذا إلى باب المزاح و [illegible] عن الأشراف والأئمة فإذا مر بك أيها المزمت حديث [illegible] أو [illegible] له ، فاعرف المذهب فيه ، وما أردنا به — واعلم أنك إن كنت مستغنيا عنه [illegible]

[illegible]

[illegible] الجاحظ [illegible]

[illegible]

[illegible]

وإن عيبة [illegible] [illegible] ووصد
[illegible] ويجب أيضاً نص الأسلوب الذي احتج به
الجاحظ لهذا الاتجاه فيقول : « وإنما مثل هذا الكتاب [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
الأعراض ، وقول الزور والكذب ، [illegible]

ومن مظاهر [illegible] في نثر الجاحظ أيضاً أنه يحكي [illegible] العامة والمولدين على
[illegible] كانت ملحونة ، ويحتج الجاحظ لذلك بأن إعراب نوادر
المولدين يفسدها ، [illegible] استمع إليه يقول في ذلك : « . . . وأنا أقول
[illegible] كلام [illegible]
[illegible] تلك الصورة ، وذلك [illegible]
فإذا دخلت على هذا الأمر — الذي إنما [illegible]
التي فيه — حروف الإعراب والتحقيق [illegible]
[illegible]
وتبدلت صورته [2] » .

[illegible]
[illegible]
[illegible]
وربما سخف بعض الحديث [illegible]
[illegible]
[illegible] لو وجبت هذا [illegible] ألا ترى أن هذه الألفاظ لو [illegible]

(١) مقدمة عيون الأخبار [illegible]
(٢) الحيوان [illegible]

[illegible] ، وكان أحسن أحوالها أن تكافئ لطف [illegible] (١)

[illegible] قصة يتبع خطا الجاحظ ، وينهج منهجه [illegible]

[illegible] وفصاحة [illegible]

[illegible] من حيث الدقة في اختيار الألفاظ [illegible] من حيث [illegible] بالحلة [illegible] كانت تقع أحيانا بين هذه الأشياء [illegible] كلاما على [illegible] نظمتها لمتعلم التأدب تبصرة ، ولأهل العلم [illegible] وصنفتها أبوابا وقرنت الباب بشكله [illegible] وعلى الأرض [illegible] وتشاطر [illegible] من كلام [illegible] وفطن الشعراء [illegible] (٢)

فالنسق الأسلوبي في هذا النص [illegible] من حيث [illegible] في كثير من اتجاهاته ومناهجه على هذا النحو الذى رأينا [illegible] في كتب [illegible] أوسع مدى وأبعد [illegible].

(١) مقدمة عيون الأخبار ص [illegible]

(٢) مقدمة عيون الأخبار ص [illegible]

[illegible] الجاحظ [illegible] وفي [illegible]
[illegible] من كتب [illegible] التوحيدي

أبو حيان التوحيدي

[illegible]
الحكمة والعلم والتصوف [illegible]
ولذلك لقب بالتوحيدي [illegible]

[illegible]
[illegible]
[illegible] كتاب
المقابسات : « . . . وكان من خصائصه احتذاء الجاحظ في [illegible] في كل شيء مطبوعا على ذلك إلى الحد الأقصى [illegible] أولع بوضع الأحاديث والأسماء ووقائع التاريخ في الصورة [illegible] الحادث [illegible]
الرواة ، بل يعرض له [illegible]
فإذا هو قصة ذات وقائع [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
سابق ، وعقل فياض بالحكمة وفصل الخطاب ، ومن [illegible]
[illegible]
يسبق إليه [1] . »

[illegible]
[illegible] الجاحظ في كل شيء [illegible] ولكنه أولع بوضع
الأحاديث والأسماء ووقائع التاريخ في الصورة [illegible] وكان الأستاذ السندوبي»

(١) المقابسات ، أبي حيان [illegible]

[illegible] وضع الأحاديث والأخبار [illegible] من طريقة الجاحظ ولا مذهبه ، ولعله بذلك [illegible] الجاحظ [illegible] عن أن يكون وضاعا للأحاديث . والحق الذى لا مراء فيه ، أن الجاحظ كان من [illegible] [illegible] ولم يكن هذا الاتجاه عند الجاحظ إلا مظهرا [illegible] كما أشرنا إلى ذلك فيما [illegible] تلك النزعة [illegible] أنه كان [illegible] ، ولعل من أكثر هذه الأقوال دلالة على تهم الجاحظ [illegible] كتاب المعلاء متحدثا عن [illegible] ولو أن رجلا ألزق [illegible] لحارث حيين ، والهيثم بن مظهر [illegible] [illegible] فى نفسها ، مليحة فى معناها ، ثم [illegible] بعض الفقهاء ، لعادت باردة [illegible] . وكما أنك لو ولدت كلاما فى الزهد [illegible] من كلام بكر بن عبد الله المزنى ، وعامر بن قيس [illegible] لتضاعف حسنه ، ولأحدث له ذلك [illegible] أحسن الحلم ، لما كان [illegible] إلا ماطا فى [illegible] من حقها[1] » فالجاحظ [illegible] ثم إن الأحاديث والقصص التى جاءت فى كتاب [illegible] التصوير القصصى الذى يدل على [illegible]

(١) [illegible] ٢٣ ، ٣١ [illegible]

[illegible]

١ — تأثر أبي حيان بالجاحظ في الوضع الفني

[illegible]

لاشك فيه أنه فى هذا النحو كان [illegible] أو [illegible] كان [illegible] معروفة فى الأدب العربى قبل الجاحظ ولا سيما عند الرواة الذين كانوا يتحرون [illegible] الأشعار سبيلا إلى كثرتها مما يدل على مكانتهم من [illegible]

[illegible]

[illegible] وقال لى : قل لعلى : [illegible] ولحوم مفحمة [illegible] إلا مقام معلوم ، وحق مشاع أو مقسوم [illegible]

[illegible] ووزن كل شى [illegible]

[illegible] كجلالة رفع البعير من العجان والذئب [illegible] وما كان سكوت هذه العصابة إلى [illegible]

[illegible] واشتملت [illegible] والتفكر ، ولسنا فى كدروة كسرى [illegible]

[illegible]

وقد أحدث في [illegible] على [illegible] من [illegible] [illegible] وتحليله ، وهذا هو [illegible] [illegible] مجالا .

وليست ناحية [illegible] التي [illegible] فيها أبو حيان بالجاحظ ، فالحق أننا لا نكاد نجد [illegible] في كتابته إلا وللتوحيدي فيها مجال ولولا [illegible] كان متشابها [illegible] [illegible] لكان شيئا [illegible] بالجاحظ [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] لا [illegible] [1] »

٣ — الألفاظ والجمل

لقد مر بنا أن الجاحظ [illegible] [illegible] مواضعها بحيث تنص على المعنى [illegible] الجاحظ في هذا الميدان قد [illegible] من تفقهه في [illegible] واستقصائه لأسرارها [illegible] [illegible] دقيقة معينة في تحقيق هذه الغاية ، فهو أحيانا [illegible] إلا أن جمله متعادلة منسجمة على كل [illegible]

وقد كان [illegible] في هذه الناحية [illegible] في [illegible] في [illegible] [illegible]

---

(١) [illegible]

[illegible] على [illegible] في حبل من [illegible] الأمة [illegible]
[illegible] الأ[illegible] في كتاب [illegible] وعنده [illegible] ومن [illegible]
في [illegible] أنه [illegible] من [illegible] أو [illegible]
[illegible] سكن ، أو حبيب ، أو صديق ، أو أليف ، أو قريب ، أو ولي
[illegible]
[illegible]
أو مفضل ، أو مثل [1] ، هذا الحشد من الألفاظ الكثيرة [illegible]
[illegible] الإحاطة بدقائق اللغة ، وهذا مما يذكرنا بالجاحظ .

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]
العدل والنصفة والرحمة والمكرمة ، من الأحرار [illegible] ما هو صدق محض ، ومن
[illegible] ، ولهذه [illegible] كثيرة
الوجود [illegible] وجب ذلك لأن الناس في أصل جبلتهم ، و[illegible]
خلقهم ، وأول [illegible] ، قد افترقوا مجتمعين ، [illegible] اجتمعوا مفترقين ، واختلفوا

(١) [illegible] ص ٧٣

[illegible] وأحلامهم عاملة، وآراؤهم سامحة[1] »

[illegible]

ملاحظتنا [illegible]

[illegible]

تشعب المعاني وتولدها

[illegible]

(١) [illegible]

(٢) [illegible]

[illegible]

[illegible] وكيف يعرف الحجة

[illegible] والمعقول من الموهوم، والمحال

[illegible] من دوات الدلائل الخفية، وما يعلم مما لا يعلم

[illegible] دون الألفاظ، وما يعلم معتقدا

[illegible]

[illegible] علها والرغبة عنها[1] »

[illegible]

[illegible] الإخلاص [illegible]

وخبر الاتفاق ما صدر عن [illegible]

[illegible]

وارتقائي في أسبابه سببا[2] [illegible]

[illegible] في التلاعب بالمعاني والألفاظ

[illegible]

(١) مجموعة رسائل الجاحظ [illegible]

(٢) [illegible]

[illegible]

٤ – البسط والإطناب في [illegible]

[illegible] تحديدها وتوضيحها وتنقيحها [illegible] ونجد هذه الخاصة أيضا [illegible]

ويطيل البيان، ويحتذى حذو الجاحظ في الإطناب والإسهاب في [illegible]

[illegible] أبي حيان [illegible]

[illegible] والمؤانسة» لأبي حيان يوضح لنا هذه الخاصة في نثره .

قال في «الليلة الثامنة» [illegible]

(١) [illegible]

(٢) [illegible]

(٣) [illegible]

[illegible] كيف كان كلامه هيناً ، وكيف كان [illegible]

[illegible]

[illegible] ما تعرف اليوم ببغداد — وهي الرقعة

[illegible]

[illegible] وملأ البقاع بالدعاء الصالح

[illegible]

[illegible]

[illegible] وظهور غنائك ، وحسب [illegible] ، و[illegible] أوليائك

[illegible]

[illegible] من عادة الإحسان إليهم

[illegible] عاطلهم ، ولا [illegible]

[illegible] وثقة ، ورباط

[illegible] وشكر مكسوب

والأجر مدخور ، ورضوان [illegible] ، وفضل الله [illegible]

(١) [illegible]

[illegible] في خدمتك ، ولا [illegible] ، [illegible]

[illegible] بالأمس

[illegible] وصلاح في

[illegible]

[illegible] بالخط ، وأتيته باللفظ ، [illegible] سكون [illegible]

[illegible] ، وتسكولى عنه أبعد وأصعب

[illegible] (١)

[illegible]

[illegible] شبه إلى حد كبير قول الجاحظ في

[illegible] إلى الفتح بن خاقان :

« [illegible] ، وأصلحك وأصلح على يديك

[illegible] مما قد يصد عنه

ولا [illegible] الوصف له ، والمعرفة به ، دون الحث عليه والانقطاع إليه ،

[illegible]

[illegible] ، فإن الله تعالى لم يعلم الناس [illegible]

[illegible] . وقد أحصى ما رأيت من شغفك [illegible]

[illegible] ، وإشفاقك من كل حال [illegible]

[illegible]

[illegible] (٢) »

٥ [illegible]

[illegible]

[illegible]

(١) الإمتاع والمؤانسة [illegible] أحمد أمين .

(٢) [illegible]

[illegible] تدل على عبقرية الجاحظ من ناحية ، كما تدل على [illegible] من ناحية أخرى ، وقد سبق أن سردنا بعض الأمثلة [illegible] السبيل ، ولقد [illegible] أبو حيان وهو الرجل الذى تعشق مذهب الجاحظ [illegible] سلك مسلكه فى [illegible] عرض الآراء والمذاهب الفلسفية والنظريات العلمية فى [illegible] عالى الأدب والعلم ، ولا غرابة فى أن نرى [illegible] الحكماء المحدثين : « [illegible] إلا إذا جودنا اللغة ، ومهما تكن الأمور أكيدة ثابتة [illegible] الأفكار ، فلا [illegible] » .

وهذا أبو حيان يتحدث عن الحيوان [illegible] الإنسان [illegible] أصناف الحيوان [illegible] فى نوع الإنسان ، وذلك أن الإنسان صفو الجنس الذى هو الحيوان ، والحيوان [illegible] هو الإنسان ، والإنسان صفو [illegible] من الحيوان خلق وخلقان وأكثر ، وظهر ذلك عليه وبطن

(١) [illegible] الجاحظ معلم العقل والأدب » [illegible] شفيق جبرى ، ص [illegible]

[illegible]

وقال [illegible] ينبغي للقائد العظيم أن يكون فيه عشر خصال من [illegible] الحيوان : سخاء الديك ، وتحنن الدجاج ، [illegible] ، [illegible] الكلب ، وحراسة الكركي ، [illegible]

[illegible] شديدا بأستاذه الجاحظ ، والتزم طريقته [illegible] في كل باب من أبواب الأدب التي على نحو ما رأينا ، حتى [illegible] يكون جاحظ القرن الرابع .

وقد قال « [illegible] » [illegible] « أبي حيان » مشيرا إلى [illegible] بالجاحظ ومحاكاته له : « وكتاب القابسات لا يتقيد [illegible] ولكنه نافع كل النفع لمن وقفوا على [illegible] ، ومن [illegible] أنه يعطينا صورة من الكتابة الفلسفية لعهده ، وإن [illegible]

[illegible]

(٢) الإمتاع والمؤانسة [illegible]

[illegible] كان بعيد عن الصواب لأنه يحاكى الجاحظ فى أسلوبه الفنى والأدبى [illegible] فى [illegible] عن الصواب لأنه [illegible] وهو [illegible] البيان العربى غير مدافع ؟ [illegible] من كلامه [illegible] اللهم لا شىء ، إلا إذا كان « الذكر [illegible] فى [illegible] عن [illegible] الجاحظ ، [illegible]

آية هذا أن « أبا حيان » قد تأثر بالجاحظ تأثرا [illegible] حتى [illegible] ألف كتابا فى تقريظه[1] [illegible] هذا التأثر فى نثر أبى [illegible] « أبا حيان » [illegible] من روح [illegible] فى [illegible]

أبو المطهر الأزدى :

ونصادف بين كتاب القرن الرابع كاتبا [illegible] والأدباء ، ولم يذكر المؤرخون وكتاب التراجم [illegible] عن [illegible] واحدة ، وكل ما يتصل [illegible] « آدم ميتس » « Metz » وطبعت فى هيدلبرج عام ١٩٠٢ .

[illegible]

وقد [illegible] الدكتور زكي مبارك [illegible] نص في حكاية أبي المطهر [illegible]
في صراحة على أنه عاش في القرن الرابع الهجري إذ يقول [illegible] وكعهدي ببغداد
الحديث سنة ست وثلثمائة، وقد أحصيت أن [illegible] أربعمائة [illegible]
جارية في الجانبين وعشر حرائر [illegible]
من الحذق والظرف ما يفوت الوصف[2]، كما [illegible] في القصة تتحدث عن
رجال هم من أعيان القرن الرابع كابن [illegible] وأبي محمد [illegible]
ورجل من [illegible] الذي يعنينا من أمره هنا أنه
في حكايته تلك، كان [illegible] بقة الجاحظ، ويصطنع منهجه، ولقد أشار هو
إلى ذلك صراحة في مقدمة حكايته حيث قال [illegible] عن منهجه في [illegible] هذه
الحكاية: «بعد حمد الله والثناء عليه بما هو أهله، والصلاة على سيدنا محمد النبي
وآله والسلام [illegible]
[illegible]
[illegible] من أعيان الشعراء هذا الذي أحصله من أدب [illegible]
[illegible]
[illegible] حضرتها [illegible] هذه [illegible]
عن رجل بغدادي [illegible]
[illegible]
تكون كالتذكرة في معرفة أخلاق البغداديين [illegible]
«ولعلي [illegible] في ذلك [illegible] من كلامه [illegible]
محمد الحاكية من الناس، يحكي ألفاظ سكان اليمن مع مخارج كلامهم [illegible]
ذلك شيئاً[3] ... الخ»

في هذه [illegible] في حكايته [illegible]

(١) [illegible]
(٢) حكاية أبي القاسم البغدادي، ص ٨٧
(٣) [illegible]

الشوارد والنوادر ، والملح والطرف ، والخطاب [illegible]
منها كل ما سمعه من ألفاظ مستحسنة [illegible] مستفصحة [illegible]
لتكون تذكرة لأخلاق المعاصرين ، [illegible]
وأنه قد اتبع في [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible]

ولكن ما هي المظاهر الواضحة [illegible]
ما يبعث النظر من هذه المظاهر هو :

١ — الوضع الأدبي

[illegible] على يد الجاحظ — تطور [illegible]
[illegible] على نحو ما رأيناه عند أبي حيان
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] هذا الكتاب صورا [illegible] الجمال والدقة.
[illegible]
[illegible] عن أهل

بلده ، وليس أبو القاسم هذا إلا شخصية خرافية لاوجود [illegible] معنى شبيه [illegible] أو [illegible] الأزهري في [illegible]

[illegible]

[illegible] ، وهو [illegible] الناحية الفنية ، حيث يساعد على [illegible] وروعة [illegible]

٢ — التصوير الواقعي

[illegible] ولقد [illegible] ، أن ينقل إلينا صورة صحيحة من الحياة في عصره [illegible]

[illegible] المطهر هذا الجانب تصويرا دقيقا [illegible] يصوره على ما هو عليه ، ولقد كانت الحياة العباسية في القرن الرابع [illegible]

[illegible] فيهم على نحو ما يتغزلون في حسان النساء ، ويصفونهم [illegible] وأحذر ، وأبو المطهر [illegible] لنا طائفة من هذه الأوصاف [illegible]

[illegible]

بمحالهم ونعتهم لمحاسنهم ، دون أن يكون فيه شيء من [illegible]
[illegible] من الأ[illegible]
[illegible] معانيه وائتلافها يخالف الجاحظ بلا شك ،
ولكن [illegible]
[illegible]

[illegible]
عن الأ[illegible] كلامي [illegible] أحدكم [illegible]
[illegible]
[illegible] عليه الناطق ، ودل على حسن [illegible]
خده جلنار ، وعينه [illegible] زمرد ، وشفتاه مرجان أو عقيق [illegible]
[illegible]
[illegible] كأنه [illegible]
[illegible] هلال ، وكان [illegible]
[illegible]
[illegible] [1] [illegible]

[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
أحلامهم . ولعل مما يحصل ههنا [illegible] أو المظهر في أماكن مختلفة من
[illegible]

(1) [illegible]

[illegible] لم يكن ليمنعه من [illegible] ناقد من بعده [illegible] كان [illegible] حفظ

[illegible] يروى نوادر العامة [illegible] على ما فيها من [illegible] لأنه كان يرى أن [illegible] ونقدمها أيضا احتجاجه لهذا [illegible]

[illegible] في مثل هذه المدة ، فمن نشط لسماعها ولم يعد تطويل فصولها وفصولها كلمة على [illegible]

من البسط حجته النص على وغيره المتعلم له » [1].

وهكذا نرى [illegible] معالمها كاملة لا نقص فيها ولا زيادة .

٣ — الدعابة والتهكم :

[illegible]

---

(١) مقدمة حكاية أبي القاسم [illegible]

ومحاسنه في كتاب البخلاء ، ورسالة التربيع والتدوير التي تعد من أرق ألوان
المجاء والتهكم التي عرفت في النثر [illegible] عند أبي المطهر نوعا من
هذا التهكم المشوب بروح الدعابة ، وإن كان هذا الذي [illegible] عند أبي المطهر ، ليس
[illegible] إلى هذا المستوى الرفيع الذي وصل إليه أبو عثمان ،
[illegible]
ولكنه ليس وصفا يتغلغل إلى أعماق نفس [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] ووصل حلاوة أحاديثه على من
يليه من الجن فيفاوضه ، ويسمع من أحاديثه [illegible] والله
[illegible] إنما هو سحر يوله القلوب والأسماع ، كلام والله [illegible]
[illegible] وعقد السحر
[illegible] حسن الديباجة ، صافي
الزجاجة ، حلو المساغ ، يصاق به الرمض [illegible]
[illegible] في العود ، قد اتسع له بحمد الله [illegible]
[illegible]
[illegible] باسيدنا . أنا في محنة صلعاء
[illegible] شعر ، في كلام أثقل من الجندل ، وأمر من الحنظل ، هديان المحموم
[illegible] الأخرس عن كنه ، ويفرح الأصم بصممه ، كلام
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible] ولا طراوة ليس إلا إقواء وإبطاء وأخطاء [illegible] (١) [illegible]

وهكذا نرى أن أبا المطهر الأزدي [illegible] على [illegible] في هذه النواحي التي ألمعنا إليها [illegible]

الحسن التنوخي

[illegible]

١ — الأغراض والموضوعات

[illegible] إلا عالجه بقلمه ومنه ما لم يكن له وجود من قبل في النثر الفني ، وها نحن أولاء [illegible] التنوخي في [illegible] بالجاحظ في هذه الناحية ، [illegible] كله [illegible] فهو يحدثنا في مقدمة كتابه [illegible] قد عرفوا أحاديث الملوك ، وأخبار

(١) معجم الأدباء ١٦ — [illegible]

[illegible]

الشاملة بموضوعات النثر ، وما نحسب إلا أنه قد قرأ آثار الجاحظ وهي حافلة على [illegible] واستهدافها فيما عالجه من موضوعات [illegible] كتاب « نشوار المحاضرة » الذي حشد فيه كل هذه الموضوعات ، أنه لن يسمته شيئاً [illegible]

[illegible] في عصره ، وصور ببيانه كل ما هو [illegible] على اختلاف صورها سوى الجاحظ ، فأغلب الظن [illegible] الجاحظ في هذا الاتجاه ، [illegible] — على أنه كثيراً ما أحال [illegible]

[illegible] الجاحظ في نثر التنوخي ، ولكن هناك [illegible]

٣ — [illegible]

[illegible] إنه كان يأتيه قصداً ، وحجته في ذلك [illegible]

[illegible] « نشوار المحاضرة » [illegible] وقد أثبت من هذا [illegible]

[illegible]

[illegible] ولا نحو مع [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] الفصول والأشعار، والرسائل والأمثال، و[illegible]

[illegible]

[illegible] ماشرطناه، وبطل ما ذكرناه[1] »

[illegible] — من هذه الناحية — كأنك في كتب الجاحظ [illegible] إلى هزل، ولا يتسع [illegible] الشواهد على [illegible] الاستطراد [illegible] وقد صنع هذا الصنيع غير واحد ممن

[illegible]

يحدثوه وعاصروه وخالطوه ، وهو منهج له قيمته فى تشويق القارئ [illegible]
[illegible]

[illegible]

٣ — الدعابة وخلط الهزل بالجد

ومن خصائص الجاحظ المأثورة أيضا فى نثره ، أنه كان [illegible]
من روحه الخفيف ، ودعابته المرحة ، فيدمج فى ثنايا [illegible]
[illegible] وغرضه فى ذلك الترفيه عن القارئ ، وعدم الإملال [illegible]
[illegible]

[illegible]
[illegible] من الطرف والملح التى تذهب سآمة القارئ
[illegible]

[illegible]
مع تملقك محل القدرة بإطالة ؟ قال [illegible] أنها مسألة ، وأخذوا
[illegible]

---

(١) [illegible]

(٢) [illegible]

(٣) [illegible]

الروح بديع الحديث بالكلام طيب العشرة والأدب، يكنى بأبي عصمة، وكان
يؤاكله دائما ويحتشمه ويشفق عليه، وكان أبو القاسم شديد البر بأمه، وكان يتحفظ
لها [illegible] ولا [illegible] شيئا إلا ما أكلت منه، وكان [illegible]
[illegible] لها، فأكل عنده أبو عصمة هذا أول يوم وهو
[illegible] ثم شبع منه أبو عصمة حتى أمر به أبو القاسم
[illegible] من الجوز والخردل
ثم [illegible]
[illegible] يمشي مع العمارة؛ فقال له ابن الحوارى إلى أين يا أبا عصمة [illegible]
إلى الوالدة [illegible]
عندها فضحك ابن الحوارى وزاد الود بينهما[1] »

٤ — الواقعية

[illegible] صورة حية [illegible] عنها، كما كان نثر الجاحظ تعبيرا صادقا عن الحياة بكل
مظاهرها دون تحرج [illegible]
أعطى صورة صادقة عن الحياة في عهده، حتى [illegible]
واستجداء واللصوص وقطاع الطرق والمحتالين! فإن التنوخي ينهج هذا النهج
[illegible]
[illegible] يتحدث عن اللصوص وما كان لهم من حيل على عهده، ولقد كتب
الجاحظ رسالة برمتها في حيل اللصوص وسراق الليل.

[illegible] (ومن ظريف حيل
اللصوص [illegible] في عهده [illegible] محمد [illegible] حدثني أنه
[illegible] في [illegible] اللصوص التي تحبس
على أنها [illegible] كأنها [illegible] وطرح فيها
جوزات كأن إنسانا كان يلاعبه، وأخرج منديلا فيه مقدار مائتي جوزة فتركه إلى

---

(١) نشوار المحاضرة، ص ٦٣

جانبها ، ثم دار بكوز ما في الدار مما [illegible] [illegible] خرج من
الدار وعمل ذلك كله ، وإن جاء صاحب الدار ترك عليه قماشه ، وطلب القاتلة [illegible]
فإن كان صاحب الدار جلدا [illegible] اللصوص ، و[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] (١) »

[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] التنوخي في صراحة على الرغم مما تدل عليه من
[illegible] عن نقل هذه الحكاية : « . . .
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible] إن كان ليس لها ذنب
[illegible]
قال « [illegible] والخطباء والناس ، حتى سقط عليه
وكان من ذلك ما قاله ابن بسام في قصيدة أولها :

« [illegible] ولا [illegible] » (٢)

[illegible] التنوخي [illegible] والأفعال [illegible] هذه الحكاية

---

(١) نشوار المحاضرة [illegible] ٧٨ [illegible]
(٢) [illegible] ص ١٠٧

[illegible]

[illegible]

أن علماء كانوا يلاعبون بها وكان إذا لعب بها [illegible] على الأرض ، واتكأ على

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] الحياة في عهده ، ولكن الذى [illegible]

[illegible]

في مقدمة هذا الكتاب

[illegible] ألفاظ العامة :

[illegible]

[illegible] جدا في نثر التنوخي

[illegible] كما هي ليكون لها من الجمال وحسن الأثر

ما لا يكون لغيرها في موضعها [illegible] كلمات فصيحة ، ومن هذه الكلمات

[illegible] كلمة « مطال » التي [illegible] ذكرها آنفا في

[illegible] إذا كنت [illegible] في [illegible] في ذات

[illegible] فأصاب [illegible] وكنت تحت

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] في كك يا أبا العباس ؟ فقال : خلط خراسان أتصدق به عن

[illegible]

---

(١) [illegible]

(٢) [illegible] ٨ [illegible]

[illegible] التنوخي [illegible] [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible] كثيرة جدا في كلام التنوخي [illegible]
[illegible] الفاظ العامة ، وفي استعماله لهذه الألفاظ
[illegible]
[illegible]

[illegible] إشارة للتصرات [illegible]
في [illegible] الأحيان [illegible] الصور الخيالية في نثره [illegible]
[illegible]
استعمال الصور الخيالية [illegible] استعملها فلا يكون ذلك إلا بالقدر الذي [illegible]
[illegible]

٥ — الوضع الفني

أكبر الظن أن التنوخي في كثير من حكاياته [illegible]
في [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] وكانت هذه الأحاديث
[illegible] أشخاص [illegible]
من الفنان وإبداع في ذلك المضمار .

(١) [illegible]
(٢) شوار المحاضرة ، ص ١٣٢ .
(٣) [illegible] ص ٧٤
(٤) [illegible]

وهذا ونحن لا نستبعد [illegible] أن يكون التنوخي [illegible] وهو كاتب مصور ناقد — قد استخدم هذا المنهج [illegible] من جهة والقصص قريب من تحقيق [illegible] في [illegible] وجهة [illegible] على هذا أن التنوخي قد [illegible] كتب [illegible] قصداً إلى [illegible] والتهذيب والتوجيه ، يقول في مقدمة « نشوار المحاضرة » [illegible] الذين كانوا مادة هذا الفن ، ولم يبق من [illegible] إلا [illegible] [illegible] [illegible] وجدت أخلاق [illegible] لا تأتي من [illegible] بجوى عليه تلك الأخبار من النيل ، بل هي مضادة لما يدل عليه تلك [illegible] من أخلاق [illegible] وضرائبهم وطباعهم ومذاهبهم حتى أن من [illegible] من [illegible] [illegible] من [illegible] [illegible] أرباب الدولة ، ورؤساء [illegible] [illegible] [illegible] وسعة الأنفس ، [illegible] [illegible] ومكارم الأخلاق [illegible] [illegible] [illegible] على [illegible] مثله[1]

ويحدث في كتاب [illegible] من [illegible] [illegible] [illegible] واحس ، [illegible] من [illegible] [illegible] منه من [illegible] [illegible] [illegible] صلاح والفساد [illegible] أو [illegible] الأمر [illegible] [illegible] حتى لا [illegible] في أمثالها ، ولا يتورط نظائرها وأشكالها . ولا [illegible] [illegible] في التجارب ، [illegible] [illegible] من [illegible][2]

فالتنوخي إذن ، كاتب ناقد ، يستخدم قصه وأدبه للإصلاح والتوجيه ويعتمد [illegible] الناحية الأخلاقية التهذيبية [illegible] في كثير من الأحيان [illegible] [illegible] [illegible] مثلاً في كتاب « كلمة

---

(١) مقدمة نشوار المحاضرة .

(٢) [illegible]

ودمنة »، وكان في كثير من كتب الجاحظ وبخاصة كتاب « البخلاء »
الذي كرسه للكشف عن جانب مهم من جوانب الحياة الاجتماعية لعهده ، وهو
مثل « البخلاء » ، فواضع كليلة ودمنة قد وضع حكاياته وقصصه على ألسنة الطيور
والحيوانات ، وهو من خلال ذلك يجد مجالا فسيحا للسخرية والنقد والتوجيه
في قالب رمزي جميل ، وكذلك كتاب البخلاء ، فلا شك أن يكون [illegible]
فيه من نقد وسخرية ووصف [illegible] هذا النوع القصصي ، وكان هذا الكتاب
معجزة من معجزات الجاحظ ، و[illegible] من [illegible] على حق [illegible]

من أجل هذا [illegible] يرجح أن يكون التنوخي قد استعمل منهج التوسع
في ذلك ، متأثرا في ذلك بالجاحظ . وقد كان التنوخي قد صرح — على نحو
ما تقدم — في مقدمة كتابه « نشوار المحاضرة » أنه كتب ما كان في حفظه
سالفا محفوظا [illegible] أنه لم [illegible] ، [illegible] وهذا دليل على
أنه لم يكن من الوضاعين الذين يضعون القصص ، والأخبار والأحاديث للتعبير
عن أمور معينة ، ذلك لأنه من [illegible] والذي سلك هذا المسلك ، لا يمكن
أن يعترف بأنه سالكه ، وإلا فقد أثره وقيمته الأدبية ، على أنه ليس من
المعقول أن يكون كتاب « نشوار المحاضرة » وهو على ما ذكر ياقوت (١)
أحد عشر مجلدا ، قد أخذه التنوخي من أحاديث الناس ، ومن حكاياته في أثناء
مذاكراتهم ، وفي عرض محاوراتهم ، وأن يكون قد اتصل بكل هؤلاء الذين ذكر
أنه اتصل بهم في مقدمة هذا الكتاب ، وسمع منهم وأخذ عنهم ، وإذا كان شيء
من ذلك ، فالغالب الظن أنه ليس في تلك الحدود التي رسمها ، وإن التوضيح المعقول
للمسألة ، أن يكون التنوخي قد أراد أن [illegible] بكتابته هذه الموضوعات وتلك
الظواهر التي [illegible] يصفها ويعقدها على نحو ما يعمل الكتاب المحدثون
الاجتماعيون في تصوير الظواهر المختلفة والاجتماعية الخاصة بهم ، فقد ذكر أنه قد
اتصل بأهل العلم والمعرفة ممن تحدث إليهم وحدثوه به في شتى هذه الموضوعات

---

(١) معجم الأدباء [illegible]

[illegible] المعطى ما يكتبه صفة الواقع ، فيكون [illegible] ، [illegible]
[illegible] الذى يهدف إليه .

٦ — الإيقاع والجمل

[illegible] الحس ، [illegible]
لا يكاد فى ذلك يبعد [illegible] ، [illegible]
[illegible] من ضروب [illegible] ، [illegible]
[illegible] مما أتاح له أن يلعب بالكلمة
[illegible] ، [illegible]
[illegible] ، [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] ، [illegible] فى هذا
[illegible] (١) »

[illegible] فى هذا [illegible]
[illegible] إلى [illegible]
[illegible] ، [illegible]
[illegible] ، [illegible] إذ
كان [illegible] ، [illegible]
[illegible] ، وأحس فى الأخرى [illegible]
[illegible] (٢) » [illegible] ، [illegible]
[illegible] ، [illegible]
[illegible] ، [illegible]

(١) النثر الفنى ج ١ — ٣١٩
(٢) نثر الحاضر ص ٩٧

[illegible] أن [illegible] [illegible] بحثه [illegible]
الواضح

هذا :

وبعد فلا يسع منصفاً بعد هذا إلا أن يحكم بوجود المدرسة
الجاحظية، فهي مدرسة صحيحة تضم عدداً عديداً من التلاميذ في كل زمان ومكان
وهذا نستطيع من خلال تتبع سيرة [illegible] تمثله في نفسه، وفي
حسب موضوعه، وفي منهجه الأدبي، وفي طريقة تفكيره، ثم غير مدى
تأثير الجاحظ في غيره من الكتاب، وإلى أي حد يمكن أن نعتبر أن عصره حاكى
طور جديد من الفكر والفن الأدبي بما فيه من خصب [illegible] ويرى أن [illegible] شعراء
الآثار الأدبية لكتاب القرن الرابع الهجري، ونستطيع أن نعتبر الأدبية المختلفة التي
عرفت وشاعت في هذا القرن، وجدنا أنها تنحدر من تلك المدرسة الأدبية التي
تربع عليها أبو عثمان

فهرست المراجع

المراجع العربية

١ — ابن المقفع : عبد اللطيف حمزة . القاهرة (دار النشر الحديث) بدون تاريخ

٢ — الإتقان في علوم القرآن : جلال الدين السيوطي . القاهرة (مطبعة [illegible]) سنة ١٢٧٩ هـ

٣ — إحياء علوم الدين : الإمام الغزالي . القاهرة (مطبعة مصطفى الحلبي) سنة ١٩٣٩ م .

٤ — أدبيات اللغة العربية : [illegible] . القاهرة (المطبعة الأميرية) سنة ١٩٠٩ م

٥ — الأدب العربي وتاريخه في عصر ... : هاشم عطية . القاهرة (مطبعة مصطفى الحلبي) سنة ١٩٣٦ م

٦ — أدب الجاحظ : حسن السندوبي . القاهرة (المطبعة الرحمانية) سنة ١٩٣١ م

٧ — الأدب الصغير : ابن المقفع . الإسكندرية سنة ١٣٢٩ هـ

٨ — الأدب الكبير : ابن المقفع . الإسكندرية سنة ١٣٣٠ هـ

٩ — أدباء العرب : بطرس البستاني . بيروت سنة ١٩٤٧ م .

١٠ — أدب الكاتب : ابن قتيبة ، القاهرة (مطبعة الوطن) سنة ١٣٠٠ هـ .

١١ — أدب الكتاب : أبو بكر الصولي . القاهرة (المطبعة السلفية) ١٣٤١ هـ .

١٢ — الأسلوب : أحمد الشايب . الإسكندرية . (المطبعة الفاروقية) بدون تاريخ

١٣ — إعجاز القرآن : الباقلاني . القاهرة (المطبعة السلفية) ١٣٤٩ هـ .

١٤ — [illegible] : [illegible] القاهرة (السعدي) ١٣٢٣ هـ .

١٥ — الأمالي : أبو علي القالي . القاهرة (مطبعة دار الكتب المصرية) سنة ١٩٢٦ م .

١٦ — [illegible] : [illegible] (مطبعة السعادة) سنة ١٩٠٧ م

١٧ — [illegible] : [illegible] حيدي . القاهرة (مطبعة لجنة التأليف [illegible]) سنة ١٩٣٩ م .

١٨ — [illegible] : [illegible] (مطبعة [illegible]) سنة ١٩٣٧ م .

١٩ — [illegible] شرح [illegible] : محمد بن إسماعيل البخاري . لم يذكر مكان الطبع و[illegible]

٢٠ — البخلاء شرح أحمد العوامري وعلى الجارم : الجاحظ . القاهرة (مطبعة دار الكتب) سنة ١٩٣٨ م .

٢١ — البخلاء تحقيق [illegible] : الجاحظ . القاهرة (مطبعة دار الكتب المصرية) سنة ١٩٤٨ م .

٢٢ — [illegible] : محمود شكري الألوسي . بغداد (مطبعة دار السلام) سنة ١٣١٤ هـ .

٢٣ — البيان والتبين : الجاحظ . القاهرة (مطبعة الاستقامة) ١٩٤٧ م .

٢٤ — [illegible] : محمد دياب . القاهرة (مطبعة جريدة الإسلام) بدون تاريخ

٢٥ — تاريخ [illegible] : جورجي زيدان . القاهرة (مطبعة الهلال) سنة ١٩٣٦ م

٢٦ — تاريخ [illegible] : حفني ناصف . القاهرة (مطبعة الجريدة) بدون تاريخ .

٢٧ — تاريخ [illegible] العربي : أحمد حسن الزيات . القاهرة (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر) سنة ١٩٣٥ م .

٢٨ — تاريخ الأدب العربي : [illegible] (مطبعة [illegible]) ١٩٣٥ م

٢٩ تاريخ [illegible] — ترجمة [illegible] الإسكندرية [illegible] ١٩٤٩ م

٣٠ — [illegible] في الإسلام — ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة. القاهرة. ط [illegible] ١٩٣٨ م

٣١ تنوير [illegible] الحديث — ابن [illegible] (مطبعة كردستان العلمية) سنة ١٣٢٦ هـ

٣٢ — تهذيب الأخلاق — ابن مسكويه. القاهرة (مطبعة فرج الكردي) ١٩١٤

٣٣ — تحقيق ما للهند من مقولة — البيروني. لندن — غوتا ١٨٨٧ م.

٣٤ [illegible] — شمس الدين الذهبي. حيدر اباد. بدون تاريخ

٣٥ — [illegible] — عبد السلام هارون. القاهرة (مطبعة مصطفى الحلبي) [illegible] ١٣٥٧ هـ

٣٦ — [illegible] — المسعودي. ليدن — مطبعة بريل ١٧٩٣ م

٣٧ [illegible] — [illegible] سنة ١٣٢٤ هـ

٣٨ — [illegible] — [illegible] ١٩٤٨

٣٩ — [illegible] — [illegible] ١٩٣٠

٤٠ — الجاحظ — [illegible]

٤١ — جمع الجواهر — [illegible] ٣٥٣

٤٢ — جمهرة خطب العرب — أحمد [illegible] مصطفى [illegible] سنة ١٩٣٣ م

٤٣ — [illegible] — [illegible] سنة ٣١٠ هـ

٤٤	جمهرة رسائل العرب	أحمد زكي صفوت . القاهرة (مطبعة مصطفى الحلبي) سنة ١٩٣٧ م .
٤٥	[illegible] المعدادى	أبو الطاهر الأزدي . هيدلبرج (مطبعة كرل وتتر) سنة ١٩٠٣ م .
٤٦	[illegible]	[illegible] مطبعة مصطفى الحلبي سنة ١٩٣٨
٤٧	[illegible]	[illegible] القاهرة (المطبعة الأميرية) [illegible]
٤٨	[illegible]	[illegible] وجدى (مطبعة [illegible]) سنة ١٩٢٣ م
٤٩	[illegible]	[illegible] (مطبعة [illegible]) ١٨٨٢ م
٥٠	[illegible]	[illegible] القاهرة (مطبعة [illegible]) بدون تاريخ .
٥١	[illegible]	[illegible] القاهرة (مطبعة [illegible]) ١٩٤٢ م
٥٢	[illegible]	علي بن الجهم . دمشق (المطبعة الهاشمية) سنة ١٩٤٩ م
٥٣	[illegible]	[illegible] حيدر آباد (مطبعة دائرة المعارف) سنة ١٣١٦ هـ
٥٤	[illegible]	أبو علي القالي . القاهرة (مطبعة دار الكتب المصرية) سنة ١٩٣٦ .
٥٥	[illegible]	[illegible] القاهرة (المطبعة [illegible]) بدون تاريخ
٥٦	[illegible]	القاهرة (مطبعة عيسى الحلبي) بدون تاريخ .
٥٧	شرح [illegible]	ابن نباتة . القاهرة (المطبعة الأميرية) ١٢٧٨ هـ .
٥٨	[illegible]	[illegible] القاهرة (مطبعة الأزهرية المصرية) سنة ١٣٢٩ هـ .

٥٩- شرح صحيح البخاري — الكرماني . القاهرة (المطبعة المصرية) سنة ١٩٣٣ م .

٦٠ – صبح الأعشى — القلقشندي . القاهرة (المطبعة الأميرية) ١٩١٣ م .

٦١ – الصناعتين — أبو هلال العسكري . الآستانة . سنة ١٣١٩ هـ

٦٢ - [illegible] من الأساطير — علي الجندي . القاهرة (دار الفكر العربي) سنة ١٩٥١ .

٦٣ – [illegible] برجسون — [illegible] ([illegible] المصري) سنة ١٩٤٨ م .

٦٤ – ضحى الإسلام — أحمد أمين . القاهرة (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر) سنة ١٩٤٣ .

٦٥ – الطبقات الكبرى — ابن سعد . [illegible] ([illegible]) سنة ١٣٥٨ هـ

٦٦ – عصر المأمون — أحمد فريد رفاعي . القاهرة (مطبعة دار الكتب المصرية) سنة ١٩٢٧

٦٧ – العقد الفريد — ابن عبد ربه . القاهرة (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر) سنة ١٩٤٢ م .

٦٨ – عمر بن أبي ربيعة — جبرائيل جبور . بيروت (المطبعة الكاثوليكية) سنة ١٩٣٥ م .

٦٩ - عيون الأخبار — ابن قتيبة . القاهرة (مطبعة دار الكتب المصرية) سنة ١٩٢٥ .

٧٠ – فجر الإسلام — أحمد أمين . القاهرة (لجنة التأليف والترجمة والنشر) سنة ١٩٤٥ الطبعة الثانية .

٧١ – الفرق بين الفرق — أبو منصور البغدادي . القاهرة (مطبعة المعارف) سنة ١٩١٠ .

٧٢ — [illegible] سوق [illegible] القاهرة (مطبعة [illegible]
[illegible] سنة ١٩٤٦

٧٣ — [illegible] سنة ١٨٧٣ .

٧٤ — فى أدب [illegible] القاهرة . مطبعة [illegible] ١٩٣٣ م .

٧٥ — فى الأدب
[illegible] القاهرة (مطبعة [illegible]) ١٩٤٨ م .

٧٦ — فى الأدب [illegible] هلال . القاهرة (مطبعة مخيمر) سنة ١٩٥٣ م .

٧٧ — الكامل فى اللغة والأدب : أبو العباس المبرد . القاهرة . (مطبعة الاستقامة) ١٣٦٥ هـ .

٧٨ — لسان الميزان : ابن حجر . حيدر آباد ، سنة ١٣٣١ هـ .

٧٩ — المثل السائر ابن الأثير . القاهرة . (المطبعة الأميرية) ١٢٨٢ هـ .

٨٠ — المجتمعات الإسلامية سارى فيصل . القاهرة (مطبعة دار الكتاب العربى) سنة ١٩٥٢ م .

٨١ — [illegible] القاهرة (مطبعة [illegible]) [illegible] هـ

٨٢ — مجموع رسائل : [illegible]
[illegible] سنة ١٩٤٣ .

٨٣ — مجموعة رسائل
[illegible] الجاحظ القاهرة (مطبعة التقدم) سنة ١٣٢٤ هـ

٨٤ — [illegible] محى الدين بن العربى القاهرة (مطبعة السعادة) [illegible] سنة ١٩٠٥ .

٨٥ — [illegible] سبط بن الجوزى . مصور دار الكتب المصرية .

٨٦ — [illegible] السيوطى . القاهرة (مطبعة دار [illegible]) بدون تاريخ .

٨٧ — [illegible]
[illegible] السيوطى . القاهرة (المطبعة المصرية) ١٨٨٢ هـ .

٨٨ — [illegible] ١٣٣٤هـ.

٨٩ — [illegible]

[illegible] سنة ١٩٣٥م.

٩٠ — [illegible] ١٩٢٧م.

٩١ — [illegible]
سنة ١٩٥٤م.

٩٢ — [illegible]

٩٣ — [illegible] ١٩٠٦م.

٩٤ — [illegible]
١٨٨٩م.

٩٥ — [illegible] سنة ١٩٣٠م

٩٦ — [illegible] ١٩٢٩م

٩٧ — مكتبة الجاحظ: [illegible] ١٩٤٧م

٩٨ — [illegible] ١٨٤٩م

٩٩ — من حديث [illegible]
١٩٣٩م.

١٠٠ — [illegible]
سنة ١٩٥١م.

١٠١ — [illegible]
سنة ١٩٣٤م.

[illegible]

(1) Carra de Vaux . Les [illegible]

(2) Lanson : L'art de la prose. (Paris, 1908

(3) Nicholson : Literary History of the Arab

(Cambridge, University Press

(4) Encyclopedia Britannica. (Vol. XVIII)

[illegible]

Arts et des Metiers. (Vol. XIII).

[illegible]

فهـــرس

[illegible]

الباب الأول

[illegible]

بو المظفر الأزد . ٢٩٤

[تم بحمد الله وحسن توفيقه طبع كتاب « النثر الفنى وأثر الجاحظ فيه » فى مطبعة الرسالة الكائنة بشارع عوده القاول ٣ عابدين بالقاهرة فى يوم الأحد ١٧ المحرم سنة ١٣٧٥ هـ الموافق ٤ سبتمبر سنة ١٩٥٥ م].

عبد الحميد على حسن

مدير المطبعة

DATE DUE